اغتصاب تاريخ فلسطين و آثارها

د.فرج الله أحمد يوسف*

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين قولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) (سورة البقرة، الآيتين ١٣٥-١٣٦)

(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) (سورة المائدة الآية ٨٢)

سوف أشير في هذا البحث إلى مغتصبي فلسطين "بالصهاينة" أو "الكيان الصهيوني"، إذ لا جدوى في البحث عن الفرق بين اليهودية والصهيونية، ومن الأدلة على ذلك:

أولاً: تم تعديل تعريف معادة السامية في معجم وبستر (الصفحة رقم ٩٦، الطبعة الثالثة الصادرة في سنة ٢٠٠٢م):

التعريف القديم: العداء للسامية هو:

(العداء لليهود كأقلية دينية وعرقية).

التعريف الجديد: العداء للسامية هو:

(معارضة الصهيونية والتعاطف مع أعداء دولة إسرائيل).

ثانيًا: أصدر الفاتيكان بيانًا في يوليو سنة ٢٠٠٤م جاء فيه:

(نعارض معادة السامية في أي شكل ومن بينه عداء الصهيونية الذي تحول إلى تطبيق لمعادة السامية).

* دكتوراه في الاثار الاسلامية ، باحث - دار القوافل – الرياض .

مقدمة

يعد سقوط فلسطين في يد الصهاينة ثمرة لجهود التحالف الصليبي الصهيوني الذي استمر قرونًا عمل خلالها الطرفان بجد حتى تمكنا من إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين، واستخدما في سبيل ذلك تزوير التاريخ، وتلفيق الأدلة الأثرية.

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وإلى اليوم باءت محاولات التحالف الصليبي الصهيوني للادعاء بوجود يهودي على أرض فلسطين بالفشل، وتناقضت روايات التوراة مع الآثار المكتشفة في فلسطين، ولم تتطابق رواية واحدة من روايات التوراة مع الآثار المكتشفة في فلسطين.

دونت التوراة (العهد القديم) في الفترة الواقعة بين القرنين الخامس والثاني قبل الميلاد، رغم أنها تروي أحداثًا دارت في القرن العاشر قبل الميلاد، وتتكون التوراة من عدة أسفار هي: التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، وتنسب هذه الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام. إلى جانب واحد وعشرين سفرًا تعرف بأسفار الأنبياء منها: يشوع، وإرميا، وحزقيال، وإشعياء، وثلاثة عشر سفرًا تعرف بالأسفار التاريخية منها: أخبار الأيام الأول والثاني، والمزامير، وأيوب.

والجدير بالذكر أن التوراة قد دونت بعد زمن موسى عليه السلام، ومن الأدلة التي تؤكد عدم نسبة الأسفار الخمسة الأولى إليه ما يلي:

جاء في سفر التكوين أن إبراهيم عليه السلام قد سار خلف أعدائه حتى مدينة دان: (فلما سمع أن أخاه قد سبي جر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلث مئة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان) (التكوين ١٤: ١٤)، رغم أن مدينة دان لم تعرف بهذا الاسم إلا بعد موت يشوع بن نون (خليفة موسى) بمدة طويلة إذ جاء في سفر القضاة: (ودعوا اسم المدينة دان باسم أبيهم الذي ولد لإسرائيل. ولكن اسم المدينة أولاً لايش) (القضاة ١٨: ٢٩)، مما يدل على أن الفقرة التي تحدثت عن المدينة في سفر التكوين قد دونت بواسطة كاتب عاش في زمن متأخر عن زمن موسى عليه السلام.

ورد في سفر التكوين أن إبراهيم عليه السلام عندما ماتت زوجه سارة اشترى أرضًا ليدفنها فيها من ملك يدعى عفرون، فقال عفرون طبقًا لسفر التكوين: (يا سيدي أسمعني أرضي بأربع مئة شاقل فضة ما هي بيني وبينك فأدفن ميتك فسمع إبراهيم لعفرون ووزن إبراهيم لعفرون الفضة التي في مسامع بني حث أربع مئة شاقل فضة جائزة عند التجار) (التكوين ٢٣: ١٥-١٦)، إن عبارة: (أربع مائة شاقل فضة جائزة عند التجار) تشير إلى مسكوكات كان يتم تداولها بين التجار آنذاك، ولكن الثابت تاريخيًا وأثريًا أن أرض كنعان لم تعرف ضرب المسكوكات في زمن إبراهيم عليه السلام.

حاول محررو أسفار التوراة الادعاء بقدم الوجود اليهودي في فلسطين وتضخيم ذلك الوجود فقد سطر محرر سفر العدد المنسوب كذبًا إلى موسى ما يلي: (جميع المدن التي تعطون اللاويين ثمان وأربعون مدينة مع مسارحها) (العدد ٣٥: ٧)، ونكتفي هنا بما ذكره اللورد بولينجبروك على ذلك إذ قال: (يبدو أن كاتب هذه النصوص التوراتية لاوي

جاهل، ويبدو أنها كتبت بعد عصر يشوع بن نون بعصور كثيرة إذ لم يكن لليهود في أي حقبة من تاريخهم ثمان وأربعين مدينة محصنة).

قص سفر التثنية خبر وفاة موسى عليه السلام كما يلي: (فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عيناه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يومًا فكملت أيام بكاء مناحة موسى، ويشوع بن نون كان قد امتلأ حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى، ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهًا لوجه) (التثنية ٣٤: ٥-١١)، وكما يبدو فإن هذه الفقرة قد كتبت بعد وفاة موسى بعهد بعيد حتى لم يعرف إنسان قبره إلى الوقت الذي كتبت فيه الفقرة، ولا علاقة لموسى بكتابتها، خاصة كما أن موسى لم يستخدم في جميع الأسفار المنسوبة إليه صيغة المتكلم قط أثناء حديثه عن نفسه بل استخدم دائمًا صيغة الغائب.

وأخيرًا يبقي التساؤل التالي: هل نزلت التوراة باللغة العبرية؟ وهل كان موسى الذي ولد وتربى في مصر يعرف اللغة العبرية؟ وهل كان المصريون الذين بعث لهم نبيًا يتكلمون العبرية؟ من المؤكد أن موسى عليه السلام وقومه الذين عاشوا في مصر لأجيال متعاقبة لم يكونوا يعرفون العبرية بل لابد أنهم كانوا يتحدثون، ويكتبون باللغة المصرية.

ولم تقف المتناقضات عند الأسفار المنسوبة لموسى فقط بل إنها أكثر من أن تحصى في الأسفار الأخرى المنسوبة لأنبياء بني إسرائيل وملوكهم.

وبذلك فإن التوراة لا تعد وثيقة تاريخية يمكن الرجوع إليها، ويعبر عن ذلك المؤرخ العربي محمد بيومي مهران بقوله: (إن التوراة – ولو كره المفتتنون بها – ليست من التاريخ في شيء، وإن سلمنا أنها قد اشتملت على وقائع لها سند من تاريخ ... أن التوراة ليست بوثائق تاريخية وإنما هي قد تشكلت من واقع تدوينات متعاقبة لأصول من مأثورات قديمة واستقرت أخر الأمر في صورة من وثيقة مكتوبة فيما بين القرنين الخامس والثاني قبل الميلاد، ولكنها أصلاً مجموعة من قصص لم يتهيأ لحرف منها أن يدون فيسجل إلا بعد أحقاب طوال تصل إلى ثمانية قرون في بعض الأسفار، وعشرة في أسفار أخرى، ومن ثم فلا عجب أن يكون الطابع العام الأول الذي يبقى في نفس قارئ التوراة ككتاب تاريخ أنها لا تكاد تزيد عن كونها مجموعة من الخراقات والقصص التي صيغت في جو أسطوري، حافل بالإثارة مجاف للعقل والمنطق، غاص بالمتناقضات، مشبع بالسخف، مفعم بمشاعر العدوان والتعطش إلى الدماء)..

ويوضح نقولا زيادة قيام محرري أسفار التوراة بالنقل من أدبيات حضارات الشرق الأدنى القديم بقوله: (إن أسطورة الخلق البابلية التي تعود إلى أيام السومريين في الألف الرابع قبل الميلاد لكنها لم تدون إلا أيام البابليين زمن حمورابي في القرن التاسع عشر

قبل الميلاد. نقلت إلى العهد القديم الذي النهب الأدبي لكل ما عرفه المشرق قبل ذلك، هذه الأسطورة "أسطورة الخلق البابلية" وضعت في أول سفر التكوين كاملة، وتم تغيير كلمة تدل على إله واحد بدل الآلهة القدامى).

بداية التحالف الصليبي الصهيوني للسيطرة على تاريخ فلسطين و آثارها:

بدأ الحج المسيحي إلى الأماكن المقدسة في فلسطين منذ القرن الثاني الميلادي يأخذ طابع التنقيب الأثري في محاولة من أتباع الديانة المسيحية لتتبع خطوات المسيح وحوارييه، ويمكن اعتبار رحلة والدة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين إلى فلسطين والتي قامت بها بعد الاعتراف بالديانة المسيحية إثر انعقاد مجمع أزنيق (نيقية) سنة ٣٢٥م أول بعثة تأتي من الغرب للبحث عن الأماكن المقدسة التي ولد فيها المسيح وقضى فيها حياته مثل كنيسة المهد، وكنيسة القيامة وغيرها.

وبدلاً من أن نجهد أنفسنا للبحث عن الأسباب التي تدفع الصليبيين للتحالف مع الصهاينة فإننا نترك لاثنين من كبار الصهاينة تفسير أسباب مساعدة الصليبيين لهم في إقامة كيانهم على أرض فلسطين.

فعبر حاييم وايزمان أول رئيس للكيان الصهيوني عن سر دعم الإنجليز للصهاينة بقوله: (إن تدين الإنجليز، لاسيما أصحاب المدرسة القديمة، قد ساعدنا في تحقيق آمالنا، لأن الإنجليزي يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية من هذه الناحية أكبر المساعدات)

وبعد أن غربت شمس بريطانيا إثر العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م تكفلت الولايات المتحدة الأمريكية بدعم الكيان الصهيوني ، ولم يأت هذه الدعم من خلفية سياسية فقط، بل عن عقيدة إيمانية عبر عنها رئيس وزراء الكيان الصهيوني إسحاق رابين بقوله: (لقد حصلت إسرائيل على مكانة خاصة في الوعي الأمريكي تفوق كثيرًا حجم الجالية اليهودية في الولايات المتحدة، ويرجع هذا إلى أن جزءاً كبيرًا من الجمهور الأمريكي يرتبط بالتوراة ارتباطًا دينيًا أيدولوجيًا وأعني بصورة خاصة طوائف الإنجيليين والمعمدانيين وغيرهما التي تضم عشرات الملايين في الولايات المتحدة).

وارتباط الأمريكان العقائدي بالتوراة بدأ مع وصول طلائع المستعمرين الأوربيين الأوائل إلى القارة الأمريكية، وكان أولئك من غلاة البروتستانت الذين أطلق عليهم في الأدبيات الغربية اسم الأصوليين الذين اعتبروا غزوهم للقارة الأمريكية منحة من الله، وبهذه الحجة أبادوا سكان البلاد الأصليين، واسترقوا الأفارقة، وكانت التوراة هي الأساس الذي قامت عليه تجمعاتهم في أمريكا فأطلقوا على أبنائهم وقراهم أسماء عبرية، وكان أول كتاب طبع في أمريكا ترجمة لسفر المزامير.

وتأكيدًا للعلاقة الدينية الوثيقة بين أمريكا والكيان الصهيوني يقول القس الصليبي الأمريكي جيري فالويل: (لقد بارك الله أمريكا لأننا تعاونا مع الله في حماية إسرائيل التي هي عزيزة عليه... إن كل من يؤمن إيمانًا صحيحًا بالكتاب المقدس يرى المسيحية وإسرائيل متصلتين بعروة لا تنفصم).

وتجدر الإشارة إلى التفريق بين اليهودية بوصفها ديانة، وبين الصهيونية كونها حركة عنصرية، كما نفرق بين الديانة المسيحية، وبين الصليبية بوصفها حركة استعمارية، و نشأت الصهيونية أساسًا في أوروبا وعلى أيدي الصليبيين، ومر زمن طويل حتى تلقفها اليهود وقبلوا بها، ويوضح المؤرخ الأمريكي نوبيرجر الفرق بين اليهودية والصهيونية كما يلي: (يتعين علينا أن نوضح بجلاء أن اليهود ليسوا كلهم صهاينة وحسب، بل أن الصهاينة أيضًا ليسوا كلهم يهودًا فالبواعث لدى بعض العناصر غير اليهودية مثل اللورد بلفور على اعتناق الصهيونية تثير قدرًا كبيرًا من التساؤل والشك، والواقع أنه منذ بداية الحركة الصهيونية كان هناك عدد من غلاة الصهاينة ينتمون إلى رجال الدين المسيحي ولاسيما أتباع المذهب البروتستانتي فهؤلاء يمجدون الصهيونية تمجيدًا بالغًا ويعتبرونها تحقيقًا لنبوءة التوراة وبالتالي يخدمون قضايا الصهيونية بحماسة تستلف الأنظار).

في العقد الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي مزج أتباع المذهب البروتستانتي بين نبوءة دانيال في العهد القديم، ورؤيا يوحنا في العهد الجديد وخلصوا إلى أن فلسطين بوصفها الأرض المقدسة ستشهد الهزيمة الحاسمة للقوى المناهضة للمسيح في هرمجدون (جبل مجدو)، وأن المسيح سيعود إلى هناك ليحكم أتباعه ألف سنة، ولكي يتم تحقيق هذه النبوءة لابد من عودة اليهود إلى فلسطين.

في سنة ١٧٩٨م عاد الغرب المسيحي إلى متابعة الحملات الصليبية فاحتل نابليون بونابرت مصر وتابع في السنة التالية إلى فلسطين لكنه توقف عند أسوار عكا التي صمدت بفضل مناعة حصونها، وللمساعدة التي تلقتها من قبل القوات البريطانية التي كانت حريصة على أن يكون سقوط فلسطين بيدها لا بيد الفرنسيين، لأن الغرب جاء ليبقي فبعد انسحاب نابليون وقواته نزلت في شاطئ عكا قوة بريطانية سارت حتى القدس وهي تحمل الأعلام والرايات المسيحية، وكانت بذلك أول قوة غربية تدخل القدس منذ سقوط مملكة عكا الصليبية سنة ١٢٩١م، وكان نابليون يرغب في تهجير اليهود إلى فلسطين فهو القائل: (ليجتمع كل رجال الشعب اليهودي القادرين على حمل السلاح وليأتوا إلى فلسطين).

ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادي أصبح مشهد الأعلام والرايات المسيحية في القدس مألوفًا إذ انهالت على فلسطين موجات من البعثات الغربية للبحث عن الآثار، ولم يبق متر واحد في طول البلاد وعرضها إلا وجرت فيه حفريات أثرية كانت تهدف أساسًا لوضع تاريخ لليهود تمهيدًا للاستيلاء عليها بحجة أنها أرض الميعاد، اعتمادًا على روايات العهد القديم، ولعبت الجمعيات البروتستانتية دورًا هامًا في المشروع الصليبي الصهيوني لاغتصاب فلسطين، وكان في مقدمتها "جمعية لندن لنشر المسيحية بين اليهود" التي أسستها الحكومة البريطانية سنة ١٨٠٩م.

من الغريب أن الحماس الصليبي لخدمة الصهاينة ليس له ما يبرره إذ يشير التلمود بجميع أقسامه إلى أن المسيح ابن زنى وكاذب ومدع، لكن الصهاينة والصليبيين

يتجاهلون هذه النصوص، ويعلل زياد منى هذا التجاهل: (السبب واضح تمامًا لما تسببه هذه الاتهامات من إحراج في الوقت الذي يشهد هذا العصر تقاربًا بروتستانتيًا صهيونيًا لا مثيل له تمثل في احتضان بريطانيا والولايات المتحدة "البروتستانتيتين" المشروع الصهيوني وتنفيذه في فلسطين والموافقة على كل ما ترتكبه الحركة الصهيونية من مجازر باسم الحق التاريخي المزعوم، وتمكنهما من إجبار الكنيسة الكاثوليكية ممثلة ببابا روما من الخضوع للابتزاز متذكرين الدور السلبي الذي لعبته فيما يسمى "بالمحرقة").

وبرأت الكنيسة الكاثوليكية اليهود من دم المسيح، وصدر القرار إثر اجتماعات المجمع المسكوني (العالمي) الثاني الذي أنعقد في الفاتيكان (١٩٦٤ – ١٩٦٥م) برئاسة البابا يوحنا الخامس والعشرين، ولم تكتف الكنيسة الكاثوليكية بذلك وحسب بل أدانت كل تأويل يجعل اليهود مسئولين عن قتل المسيح رغم إجماع الأناجيل الأربعة (مرقس، ومتى، ولوقا، ويوحنا) على أن الحكم بالموت على المسيح قد صدر من قبل "قيافا" رئيس كهنة اليهود، وأن اليهود حرضوا الوالي الروماني بيلاطس على صلبه، فقد جاء في إنجيل يوحنا: (فخرج يسوع خارجًا وهو حامل إكليل الشوك وثوب الأرجوان فقال لهم بيلاطس هو ذا الإنسان فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين أصلبه أصلبه قال لهم بيلاطس خذوه أنتم وأصلبوه لأني لست أجد فيه علة أجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله) (يوحنا ١٩: ٦ – ٨) كما يشير إنجيل يوحنا إلى أن اليهود كان يعدون المسيح نجسًا: (وأخذوا يسوع من عند قيافا إلى دار الولاية وكان صبح ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلون الفصح) (يوحنا ١٨: ٢٨).

وجاء في إنجيل متى: (قال لهم بيلاطس فماذا فعل يسوع الذي يدعى المسيح قال له الجميع ليصلب فقال الوالي وأي شر عمل فكانوا يرددون صراخًا قائلين ليصلب فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئًا بل بالحربي يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إني بريئ من دم هذا البار أبصروا أنتم فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا) (متى ٢٧: ٢٢-٢٦).

وروى إنجيل لوقا كيف أصر اليهود على قتل المسيح رغم أن الوالي الروماني بيلاطس لم يكن يريد قتله: (فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم قد قدمتم إلى هذا الإنسان كمن يفسد الشعب وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علة مما تشكون به عليه ولا هيرودس أيضًا لأني أرسلتكم إليه وها لا شيء يستحق الموت صنع منه فأنا أودبه وأطلقه) (لوقا ٢٣: ١٣ – ١٦)، ولكن اليهود حسب رواية إنجيل لوقا أصروا على صلب المسيح: (فناداهم أيضًا بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع فصرخوا قائلين أصلبه أصلبه فقال لهم ثالثة فأي شر عمل هذا إني لم أجد فيه علة للموت فأنا أؤدبه وأطلقه فكانوا يلجون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم) (لوقا ٢٢: ٢٠ – ٢٥).

ويتفق إنجيل مرقس مع الأناجيل الأخرى في تحميل اليهود مسؤولية قتل المسيح إذ جاء فيه: (فأجاب بيلاطس أيضًا وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذي تدعونه ملك اليهود فصرخوا أصلبه أصلبه فقال لهم بيلاطس وأي شر عمل فازدادوا جدًا صراخًا أصلبه فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم أطلق باراباس وأسلم يسوع بعدما جلده ليصلبوه) (مرقس ١٥: ١٢ – ١٥).

وهكذا نقضت الكنيسة الكاثوليكية ما جاء في الأناجيل الأربعة لتبرئ اليهود من دم المسيح، وواصلت الكنيسة الكاثوليكية إصرارها على تبرئة اليهود من دم المسيح، وعبر عن ذلك البابا يوحنا بولس الثاني بحديث أدلى به في العاشر من أبريل ١٩٩٧م قال فيه: (إذا أدرك المسيحيون أن المسيح كان ابنًا حقيقيًا لإسرائيل فأنهم لن يقبلوا بأن يضطهد اليهود أو تُسأ معاملتهم بوصفهم يهودًا. إن قرونًا من الأحكام المسبقة والمعارضة المتبادلة حفرت هوة عميقة تسعى الكنيسة حاليًا لردمها بتشجيع من المجمع الفاتيكاني الثاني).

هذا في الوقت الذي يعترف فيه اليهود بصلب المسيح عليه السلام، ويذكر المؤرخ الصهيوني إسرائيل شاحاك في كتابه: (الديانة اليهودية وتاريخ اليهود): (فبحسب التلمود أعدم السيد المسيح بحكم من محكمة حاخامية بتهمة عبادته للأصنام وتحريض اليهود على عبادة الأصنام واحتقاره للسلطة الحاخامية، والمصادر اليهودية الكلاسيكية كافة التي تذكر إعدامه وسعيدة بتحمل مسؤولية ذلك).

لكن العديد من الكنائس المسيحية تحفظت على قرار الكنيسة الكاثوليكية، ويقول البابا شنودة الثالث بطريرك الكرازة المرقسية في مصر إذا كانت الكنيسة الكاثوليكية تود العفو عن اليهود في الماضي فإن المسيح قد عفا عنهم: (فقال يسوع يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون) (لوقا ٢٣: ٣٤)، وأوضح البابا شنودة الثالث أن التبرئة تتطلب الاستغفار من الذنب. فهل تبرأ اليهود من الجرائم التي ارتكبت في حق المسيح طبقًا للأناجيل لتمنحهم الكنيسة الكاثوليكية الغفران؟

بدء التنقيب عن الآثار في فلسطين:

شهد القرنان السابع عشر، والثامن عشر الميلاديين بداية اهتمام الأوربيين بدراسة تاريخ فلسطين وآثارها اعتمادًا على المحاولات التي تمت في القرون السابقة مثل دراسة الراهب السويسري فيليكس شميد الذي زار فلسطين فيما بين سنتي ١٤٨٠ – ١٤٨٣م، وما كتبه الطبيب الألماني ليونارد راولف عن التاريخ الطبيعي لفلسطين سنة ١٥٧٥م، ورسومات البلجيكي جان زولارت لبعض الآثار الفلسطينية التي نشرت سنة ١٥٨٦م، وما قدمه الألماني جوهان فان كوتفيك من وصف لمختارات من الآثار الفلسطينية نشرت في أواخر القرن السادس عشر الميلادي.

ومن أهم الدراسات التي نشرت عن فلسطين في القرن الثامن عشر التقرير الذي أعده القس البروتستانتي الإنجليزي هنري مودريل عن زيارته لفلسطين سنة ١٧٠٣م، وكتاب المطران بوكوك عن رحلته إلى فلسطين والذي صدر سنة ١٧٣٨م، ثم جاء كتاب: "فلسطين موضحة بآثارها القديمة" للهولندي أدريان ريلاند خاتمة للجهود الأوروبية للتعرف على تاريخ فلسطين وآثارها في ذلك القرن.

وفي سنة ١٨٠٤م تم تأسيس رابطة فلسطين على أيدي مجموعة من الأثرياء الإنجليز بغرض استكشاف الأرض المقدسة (فلسطين)، لكن أحلام مؤسسي الرابطة ذهبت أدراج الرياح بوفاة والي عكا أحمد باشا الجزار الذي كانت الرابطة تعول عليه كثيرًا من أجل تسهيل مهمتها في القيام بكشوف أثرية في فلسطين(كانت إدارة أحمد باشا الجزار تضم بعض اليهود، ومنعم وزير المالية حاييم فارحي)، وكان اثنان من مستكشفي الرابطة قد وصلا إلى مالطا في طريقهما إلى فلسطين ولما علما بخبر وفاة أحمد باشا الجزار عادا أدراجهما إلى بريطانيا.

لكن هذه الأحداث لم تفت في عضد الرابطة التي واصلت الاهتمام بآثار فلسطين فقامت بنشر ترجمة إنجليزية لأحد التقارير التي كتبها الرحالة السويسري أوليرخ ستيزن بعنوان: "تقرير موجز عن البلاد المشاطئة لبحيرة طبرية، الأردن والبحر الميت"، وكان ستيزن قد قام بزيارة فلسطين سنة ١٨٠٢م مرسلاً من قبل دوق ساكسه – غوتا بألمانيا، والقيصر الروسي الكسندر الأول من أجل جمع بعض التحف والعاديات الشرقية، وبحلول سنة ١٨٠٩م كانت رابطة فلسطين قد حلت نفسها.

ثم تضافرت جهود الصليبيين على ضفتي الأطلسي فقد زار فلسطين في سنة ١٨٣٧م إدوار روبنسون أستاذ كرسي الآداب المقدسة في معهد الاتحاد اللاهوتي بأندوفر في ولاية ماساشوستس برفقة إيلي سميث عضو البعثة البروتستانتية في بيروت، وتنقل الاثنانِ في كل أرجاء فلسطين، وفي سنة ١٨٤١م عاد كل منهما إلى مقر عمله، وأصدرا بحثًا عن رحلتهما بعنوان: " أبحاث توراتية في فلسطين وجبل سيناء وبلاد العرب الصخرية"، وربطا بين الآثار الفلسطينية وروايات العهدين القديم الجديد مؤسسين بذلك ما أصطلح على تسميته بعلم الآثار التوراتي. فكتبا عن بئر سبع: (هنا إذن المكان الذي عاش فيه الآباء الأولين: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وهنا نصب صموئيل ابناه

قضاة)، وادعيا أنهما تمكنا من تحقيق الربط بين روايات العهدين القديم والجديد وأرض فلسطين وعبرا عن ذلك بقولهما: (قادتنا الجولة عبر مشاهد مرتبطة بالعديد من الأسماء والأحداث والأفعال مثل إبراهيم، ويعقوب، وسليمان، وشاول، ويوناثان، وداود، وصموئيل، فقد تمكنا من تحديد الأماكن التي عاشا فيها واستطعنا أن نتعقب ما يمكن اعتباره خطواتهم ذاتها)

في سنة ١٨٣٩م كانت بريطانيا أول دولة غربية تقيم قنصلية دائمة في القدس، ثم تبعتها كل من: روسيا سنة ١٨٤٢م، وفرنسا سنة ١٨٤٣م، أمريكا سنة ١٨٤٤م، والنمسا سنة ١٨٤٩م، وفي سنة ١٨٤١م تم توقيع معاهدة لندن التي أعقبت الحرب بين الدولة العثمانية ووالي مصر محمد علي، وساندت الدول الأوروبية الدولة العثمانية، ونصت المعاهدة على طرد محمد على من بلاد الشام وإعادتها للعثمانيين، وشهدت سنة ١٨٤١م تأسيس جمعية القدس الأردنية لتضم كل من يهتم بالآثار التوراتية.

أدى ترسيخ ما يعرف بعلم الآثار التوراتي إلى خلاف كبير بين الكاثوليك والبروتستانت، فقد رأت فرنسا أن ذلك سيفضي إلى سيطرة بريطانيا والولايات المتحدة على الأماكن المقدسة مما سيحرم أتباع المذهب الكاثوليكي من أي دور في السيطرة على فلسطين، فأقدمت على تعيين الآثاري بول إميل بوتا قنصلاً لها في القدس ليتولى الدفاع عن حقوق فرنسا والكاثوليك في فلسطين.

ووصل إلى القدس في أواخر سنة ١٨٥٠م مغامر فرنسي لا صلة له بالعلم ولا بالآثار هو المدعو لوي فيسليان دوسولسي فقام بجولة حول البحر الميت وزعم أنه تمكن من تحديد المواقع الصحيحة لسدوم وعمورية، ورجع إلى القدس وقام بالتنقيب في مكان يوجد خارج أسوار القدس يعرف بقبور السلاطين، وأعلن أنها تضم بقايا ملوك إسرائيل، كما قال أنه توصل إلى أن نمط البناء الحجري لأسوار المسجد الأقصى تشير إلى أنها شيدت في عهد سليمان عليه السلام.

عاد دوسولسي إلى فرنسا في أبريل ١٨٥١م وحظيت رحلته بأصداء إعلامية واسعة ألهبت حماس الكاثوليك كونها أعلنت أن ما يعرف بعلم الآثار التوراتي لم يعد حكرًا على البروتستانت فقط، وأعلن متحف اللوفر أن ما جلبه دوسولسي من آثار سيصبح نواة لجناح يهودي في المتحف، وارتفع شأن هذا المغامر بزواجه من ابنة الوزير الفرنسي المفوض في الدانمرك التي كانت صديقة مقربة من الإمبراطورة أوجيني مما وفر له فرصة للارتقاء في المجتمع الفرنسي فحصل على رتبة رائد في الجيش الفرنسي ثم عين عضوًا في مجلس الشيوخ.

وفي سنة ١٨٦٠م أرسل الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث حملة إلى لبنان أثناء الحرب التي دارت في لبنان بين الدروز والموارنة، وجاءت ضمن الحملة الفرنسية بعثة أثرية تحت إشراف إرنست رينان الذي اصطحب معه دوسولسي، وحفلت رسائل رينان إلى نابليون الثالث بالسخرية من نظرية دوسولسي الساذجة التي أساسها أن المسجد الأقصى قد أقيم على أجزاء من الهيكل المزعوم، وأن قبور السلاطين هي قبور ملوك

إسرائيل، لكن يبدو أن مكانة دوسولسي لدى نابليون الثالث قد هيأت له القيام برحلة أخرى إلى القدس سنة ١٨٦٣م، فعاد إلى قبور السلاطين مرة أخرى وكشف عن تابوت سجلت عليه كلمة "ملكة" بالعبرية فأعلن أنه تابوت زوجة الملك صدقيا، لكنه كان واهمًا فقد تبين أن التابوت للملكة التدمرية هيلين التي اعتنقت الديانة اليهودية في القرن الأول الميلادي (وتدمر مملكة عربية).

واصل الفرنسيون خدمة الأهداف الصهيونية إذ قام أحد رهبان مؤسسة الدومينيكان برحلة إلى القدس سنة ١٨٨٢م تم على إثرها اختيار موقع لبناء كنيسة ودير، ثم اقترح البابا ليو الثالث عشر إنشاء معهد للكتاب المقدس ونفذ الاقتراح القس لاجرانج وتم افتتاح المعهد سنة ١٨٩٢م، وألحق به مقر لإقامة خمسة عشر باحثًا وبهذا تم تأسيس المدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية بالقدس.

أوفدت جمعية القدس للإغاثة المائية فرقة من سلاح المهندسين في الجيش البريطاني بقيادة النقيب تشارلز ولسن لعمل خريطة للقدس من أجل مد شبكة لمياه الشرب في المدينة، وبالإضافة إلى عمله في إعداد الخريطة قام ولسن بتمويل من اليهودي البريطاني موزس مونتفيوري باستكشاف الآثار الواقعة في الحي اليهودي بالقدس فأدعى ولسن أنه كشف قنطرة تحت حائط البراق تعود للهيكل الذي شيد في عهد هيرود.

ألهب هذا الادعاء حماس البريطانيين فأعلن جورج جروف وهو أحد قادة البروتستانت الدعوة لاجتماع في كنيسة وستمنستر تم خلاله تأسيس جمعية للاستكشافات الأثرية في فلسطين، وفي الثاني من مايو ١٨٦٥م تم إعلان قيام صندوق استكشاف فلسطين Palestine Exploration Found برآسة وليم طومسون، وأمانة سر جورج جروف، وحظي الصندوق بدعم العديد من رجال الأعمال البريطانيين، وبعض رجال العلم أمثال: ولتر سكوت رئيس جمعية العمارة الملكية، ورودري مورتشيسون رئيس الجمعية الجغرافية الملكية، وافتتحت أعمال الصندوق بكلمة من وليم طومسون جاء فيها:

(إن هذا البلد فلسطين عائد لي ولكم، إنه لنا أساسًا. فقد منحت فلسطين إلى أبي إسرائيل بالعبارات التالية: "هيا أمش في الأرض طولاً وعرضًا، لأنني سأعطيك إياها"، ونحن عازمون على المشي عبر فلسطين بالطول والعرض لأن تلك الأرض لنا. إنها الأرض التي تأتي أنباء خلاصنا منها. أنها الأرض التي نتوجه إليها بوصفها منبعًا لجميع آمالنا، إنها الأرض التي نتطلع إليها بوطنية صادقة تضاهي حماسنا الوطني لدى النظر إلى إنجلترا القديمة العزيزة هذه)، وبعد الانتهاء من كلمته التي تعد تمهيدًا لوعد بلفور أعلن رئيس الأساقفة أن الملكة فكتوريا تفضلت بالموافقة على أن تكون راعية للصندوق، وتبرعت له بمبلغ مائة وخمسين جنيهًا، وحددت وثيقة تأسيس الصندوق هدفها كما يلي: (دراسة دقيقة مبرمجة في المجالات الأثرية والطبوغرافية والجيولوجية والعرقية في الأرض المقدسة بغية إلقاء الضوء على نصوص التوراة).

بدأ صندوق استكشاف فلسطين نشاطه بإرسال بعثة بقيادة تشارلز ورن الملازم في الجيش البريطاني، فقام بحفر أكثر من سبعة وعشرين سردابًا رأسيًا في الجهتين الجنوبية والغربية من المسجد الأقصى هادفًا من وراء ذلك إلى إثبات أنه قد شيد على أنقاض الهيكل المزعوم.

وتم تأسيس الفرع الأمريكي لصندوق استكشاف فلسطين في شيكاغو سنة ١٨٦٩م، وفي السنة التالية خلص الاجتماع السنوي للصندوق في لندن إلى أنه ليس من الممكن أن تبقى الأرض المقدسة (فلسطين) بأيدي أصحابها الحاليين (العرب).

ظلت بعثات الصليبيين تجول في أرض فلسطين ويحمل مبعوثوها في جيوبهم فرمانات صادرة من السلاطين العثمانيين يخرجوها في وجه كل معترض من أهل فلسطين، ومن أدلة حماية العثمانيين للصليبيين أنه عندما تعرضت إحدى البعثات الإنجليزية للهجوم من قبل أحد شيوخ صفد سنة ١٨٧٥م، قامت السلطات العثمانية بمحاكمة الشيخ وحكمت عليه بالسجن لمدة تسعة أشهر، كما عاقبت كل من شاركه من شيوخ صفد وشبابها بالسجن لمدد تتراوح بين سنة وعشر سنوات، وألزمت جميع أهالي صفد بدفع غرامة قدرها مائتان وسبعون جنيهًا لصالح صندوق استكشاف فلسطين تعويضًا عن خسائره.

في أواخر القرن التاسع عشر بدأت الخطوات الأولى لعلم الآثار الحديث على يد الألماني هانريش شليمن الذي قام بالكشف عن طروادة بناءً على ما جاء في الألياذة والأوديسة للشاعر هوميروس، فالتقط أعضاء صندوق استكشاف فلسطين الفكرة فقرروا في اجتماعهم السنوي الحادي والعشرين المنعقد بلندن سنة ١٨٨٦م السير على خطى شليمن، ومحاولة إثبات ما جاء في العهد القديم عن فلسطين فاختاروا موقع خربة عجلان الواقع إلى الشرق من غزة، وكلفوا الآثاري البريطاني فلندرز بتري الذي كان ينقب عن الآثار في مصر آنذاك للتنقيب في خربة عجلان، ووصل بتري إلى غزة سنة ١٨٩٠م وما أن بدأ العمل في الموقع حتى تبين له عشوائية الاختيار وأن روايات العهد القديم لا صلة لها بالموقع، وانتقل بتري إلى موقع تل حاسي، وبعد عدة حفريات أعلن أنه موقع بلدة لخيش التي وردت في العهد القديم، إلا أنه سرعان لبث أن تبين عدم صحة ما توصل إليه فغادر فلسطين بعد فشله في تأكيد صحة روايات العهد القديم.

افتتح صندوق استكشاف فلسطين مقرًا بالقدس سنة ١٨٩٢م، وكان يوزع منشورات الصندوق وإصداراته، وينظم ندوات ومحاضرات ودورات لتدريب المرشدين السياحيين العاملين في فلسطين، وبحلول سنة ١٨٩٥م كان على المرشدين السياحيين اجتياز امتحان تحت إشراف الصندوق الذي كان آنذاك يضم في عضويته يهودًا مقيمين في المستعمرات الصهيونية التي بدأت تنتشر على أرض فلسطين.

ولم تقف الجهود الصليبية لإثبات روايات العهد القديم عند حدود العلم بل بلغت حد الهوس والهلوسة فقد جاءت إلى فلسطين سنة ١٨١٠م المدعوة هستر لوسي ستانهوب التي قالت بأنها سوف تعيد اليهود إلى فلسطين تحقيقًا لرؤيا حلم بها نزيل إحدى

المصحات العقلية بلندن، وبعد حوالي قرن من هذه الحادثة أدعى محتال فنلندي أنه اكتشف من خلال نص قديم لنبوءة حزقيال في العهد القديم مخبأ الهيكل الذي يضم تابوت العهد الذي أخرجه بني إسرائيل من مصر، وحاول هذا المحتال إثبات نظريته فبحث عمن يمول رحلته إلى فلسطين لكن أحدًا لم يلتفت إليه.

إلا أن البريطاني مونتاجو باركر أقتنع بالفكرة وعمل على تنفيذها فسافر إلى اسطنبول وحصل على فرمان عثماني يسمح له بالتنقيب في القدس، وبدأ باركر عمله في القدس منذ سنة ١٩٠٩م، وحتى سنة ١٩١١م لم يكن باركر قد وصل إلى مخبأ الهيكل فقام برشوة عزمي باشا الحاكم العثماني للقدس بمبلغ كبير لتمكينه وأربعة من معاونيه بالحفر في ليلة الثامن عشر من أبريل ١٩١١م داخل قبة الصخرة فلفتوا انتباه حراس المسجد الأقصى الذين هبوا يستصرخون أهل القدس، ففزع الناس من نومهم وتجمعوا في الشوارع فأمر الحاكم الخائن عزمي باشا بإغلاق أبواب المسجد الأقصى ليحمي باركر ومعاونيه لكن المقدسيين تمكنوا من الدخول لحماية المسجد الأقصى من التدنيس والخراب، ودبر عزمي باشا لباركر وأعوانه منفذًا فهربوا تحت جنح الليل إلى يافا ومنها عادوا إلى بلادهم وهم يجرون أذيال الخيبة والعار.

انتهزت بريطانيا فرصة قيام الحرب العالمية الأولى واشتراك الدولة العثمانية ضدها فأرسلت حملة من مصر للاستيلاء على فلسطين في ديسمبر سنة ١٩١٦م، وسارت الحملة في الطريق الذي سلكته من قبل حملة نابليون بونابرت سنة ١٧٩٩م، ووصلت الحملة إلى القدس في الحادي عشر من سبتمبر سنة ١٩١٧م بقيادة الجنرال البريطاني إدموند اللنبي، وهكذا سقطت القدس مجددًا في أيدي الصليبيين، وعبر اللنبي عن ذلك بقوله: (الآن انتهت الحروب الصليبية). لكنها لم تنته إلى الآن فقد وصف الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن حربه ضد المسلمين في مطلع الألفية الثالثة بعد الميلاد بأنها حرب صليبية، وبدأت بالحملة الصليبية على أفغانستان في أكتوبر سنة ٢٠٠١م، ثم الحملة الصليبية الصهيونية على العراق في مارس سنة ٢٠٠٣م.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أقامت بريطانيا إدارة مدنية لحكم فلسطين، وأصدرت صك الانتداب الذي اشتملت مقدمته على نص وعد بلفور الصادر في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧م، وجاءت المواد الثانية، والرابعة، والسادسة، والحادية عشرة، والثانية والعشرين، والثالثة والعشرين لتضمن تحقيق الأهداف الصهيونية، ومن أجل تسهيل ذلك ضمت الإدارة المدنية البريطانية في فلسطين موظفين صهاينة كان على رأسهم المندوب السامي هربرت صمويل، ونورمان بنتويتش – زوج ابنة شقيق هربرت صمويل – وشغل منصب النائب العام مما مكنه من الإشراف على جميع الدوائر الحكومية خاصة المحاكم ودوائر تسجيل الأراضي، ومن الموظفين الصهاينة الذين عملوا مع سلطة الانتداب: ألبرت هيامسون، وكان مديرًا لدائرة الهجرة التي عمل بها صهيوني آخر هو دينس كوهين، وشغل ماكس نوروك منصب المساعد الأول للسكرتير العام لسلطة الانتداب، ورالف هاراي مدير دائرة التجارة والصناعة، وهارولد سولوسون

مراقب المستودعات والمخازن، ولقد تفانى هؤلاء بالطبع من أجل إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

وظلت القدس في أيدي الصليبيين حتى سنة ١٩٤٧م فسلموا نصفها للصهاينة، وساعدوهم على الاستيلاء على نصفها الآخر سنة ١٩٦٧م، وكان من أهم غنائم البريطانيين في القدس نحو مائة وعشرين صندوقًا مليئًا بالقطع الأثرية التي جمعها العثمانيون من التنقيبات والحفريات التي قام بها الصليبيون في القدس، وقام البريطانيون بتأسيس جمعية استكشاف فلسطين اليهودية:

The Jewish Palestine Exploration Society وأطلقوا أيدي الصهاينة في أرض فلسطين، وقد ورد في المادة ٢١ من صك الانتداب البريطاني وجوب صدور قانون للآثار خلال سنة واحدة من تاريخ بدء الانتداب، كما أشار صك الانتداب إلى الروابط التاريخية المزعومة بين اليهود وأرض فلسطين، وأسس البريطانيون مصلحة الآثار الفلسطينية سنة ١٩٢٠م وكان أول رئيس لها جون جارستانج الأستاذ في جامعة ليفربول.

وقد أسس الصهاينة بالاشتراك مع الصليبيين منذ أواخر القرن التاسع عشر العديد من المعاهد والمراكز العلمية التي تهدف إلى السيطرة على تاريخ فلسطين وآثارها، ومن تلك المعاهد والمراكز:

الجمعية التاريخية الأمريكية اليهودية التي تأسست سنة ١٨٩٢م.

معهد الدراسات الشرقية. The Institute of Oriental Studies تأسس سنة ١٩٢٦م، وهو يمثل إحدى الأدلة البارزة على التحالف الصليبي الصهيوني لاغتصاب تاريخ فلسطين وآثارها، فالمعهد مؤسسة استشراقية متخصصة في الدراسات العربية والإسلامية تهدف إلى تلبية احتياجات الصهاينة خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين مثل إعداد أفراد يتقنون اللغة العربية، والتعرف على عادات العرب وتقاليدهم لاختراق صفوفهم وجمع المعلومات المطلوبة لأجهزة الانتداب البريطاني، وإعداد أفراد من الصهاينة للتدريس في المعاهد الأوربية التي تعنى بالدراسات العربية والإسلامية، ويضم المعهد خمس تخصصات رئيسة هي: الثقافة الإسلامية، واللغة العربية وآدابها، واللغات السامية، والآثار في الشرق الأدنى، والآثار المصرية القديمة.

معهد الآثار. The Institute of Archaeology تأسس سنة ١٩٢٦م وتنقسم الدراسة فيه إلى ثلاثة أقسام هي: آثار ما قبل التاريخ، والآثار الكلاسيكية، والآثار البيزنطية.

مركز تاريخ الكيان الصهيوني، وتم تأسيسه سنة ١٩٧٤م بالتعاون بين الجامعة العبرية في القدس ، والمليونير الصهيوني بن تسفي، ويهتم المركز بدراسة تاريخ الرومان، والبيزنطيين، والتاريخ الإسلامي حتى فترة الاحتلال الصليبي لفسلطين، والعهدين الأيوبي والمملوكي.

مركز فيليب وموريل برمان للآثار التوراتية، تأسس هذا المركز سنة ١٩٩٠م بهدف البحث عن الآثار التي ورد ذكرها في العهد القديم، لكنه لم يتوصل إلى أية نتائج تؤكد ما جاء في العهد القديم.

المحاولات الصليبية الصهيونية للادعاء بوجود يهودي على أرض فلسطين:

"اليهود شعب بلا أرض، ذاهبون إلى أرض بلا شعب، ولأن أرض فلسطين يسكنها فلسطينيون، فلنعمل على إزالة الخط الفاصل بين الواقع والافتراض بكسر إرادة الفلسطينيين والتخلص من وجودهم".

زئيف جابوتنسكي

"ليس لليهود قيمة دون فلسطين، وليس لفلسطين قيمة دون القدس، وليس للقدس قيمة بدون الهيكل."

ديفيد بن جوريون

"لا وجود للفلسطينيين. وليست المسألة وجود شعب في فلسطين يعتبر نفسه الشعب الفلسطيني، وليست المسألة أننا أتينا وطردناهم وأخذنا بلادهم، إنهم لم يوجدوا أصلاً."

جولدا مائير

حاول المؤرخون والآثاريون الصليبيون مساندة الادعاءات الصهيونية القائلة بوجود يهودي في فلسطين، ومنهم: الأب بوزي الذي عثر سنة ١٩٢٨م على أداة من حجر الصوان في منطقة تقع ما بين النقب وسيناء فكتب عن اكتشافه: (ومهما يكن من أمر الدقة في تحديد أزمان هذه العصور الغامضة فإن المفسرين لا يسعهم إلا أن ينظروا بعين التعاطف والإعجاب إلى إحدى القبائل المجدلانية وهي تعيش وتكدح جنوبي فلسطين ... إن كل ما يتصل بالأرض المقدسة يهمنا ... كما يهمنا أن نعلم أنه على مدى أعوام أو قرون كانت قبيلة مجدلانية تحرس طريق سيناء على مدخل أرض كنعان) وفيما بعد ثبت أن تاريخ القطعة يعود إلى نحو عشرة آلاف أو خمسة عشر ألف سنة.

أما المؤرخ الأمريكي وليام أولبرايت (١٨٨٥ – ١٩٧١م) الذي شغل منصب مدير المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية بالقدس، وأستاذ الدراسات السامية في جامعة جونز هوبكنز فيأتي في مقدمة الآثاريين والمؤرخين الصليبيين الذين حاولوا صنع تاريخ لليهود في فلسطين، ورغم أنه يعترف بأن المسح الأثري قد تغير تمامًا في فلسطين بعد قيام سلطة الانتداب البريطاني وصار هدفه إثبات الدعاوى الصهيونية، إلا أنه نشر تصورًا لتاريخ إسرائيل القديم سنة ١٩٤٠م بالتعاون مع منظمة الكتاب المقدس وهي منظمة تكرس جهودها لدراسة الأبحاث والدراسات المتعلقة بالعهد القديم ونشرها إمعانًا في ترسيخ هذه المفاهيم والتصورات في المجتمع الأمريكي، ويزعم أولبرايت أن وجود إسرائيل المهيمن على فلسطين حدث منذ نحو سنة ١٢٠٠ ق.م، وتتركز دراساته على تعزيز مكانة اليهود ومحاولة إظهار فضلهم المزعوم على الحضارات الشرقية القديمة

في مصر، ووادي الرافدين، والجزيرة العربية، وأسهمت كتابات أولبرايت التي تفيض بالعنصرية البغيضة في الحض على استئصال العرب من أرض فلسطين، إذ جاء في كتابه: "التوحيد وتطوره من العصر الحجري إلى المسيحية" تعليقًا على ما جاء في سفر يشوع (سيطرد الرب الكنعانيين من أمامكم)، وما جاء في سفر الخروج (سأطرد الكنعانيين من أمامك طردًا) ما يلي: (وقد يحق لمعظم الأمم المعاصرة ولكن لا يحق لنا نحن الأمريكيين أن نحكم على الإسرائيليين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ما دمنا قمنا عن عمد أو غير عمد بإبادة آلاف مؤلفة من الهنود في كل زاوية من مساحة أرضنا الشاسعة ثم عزلنا من بقي منهم في معسكرات خاصة... إن المؤرخ وهو القاضي النزيه يرى على الأغلب أن من الضروري زوال شعب متخلف ليخلي مكانه لشعب آخر ذي ملكات متفوقة فقد يؤدي الاختلاط بين الأعراق البشرية إلى نتائج مدمرة ... ومن حسن طالع التوحيد ومستقبله أن الغزاة الإسرائيليين كانوا غلاظًا أجلافًا وأصحاب إرادة لا ترحم ليحلوا محل الكنعانيين الوثنيين عبدة الخصوبة ليمهدوا بذلك الطريق للرومان العظام لكي يسحقوا هؤلاء الكنعانيين فالرومان بقوانينهم الصارمة ووثنيتهم المهذبة يذكروننا من عدة أوجه بإسرائيل الأولى).

ولم تثبت الحفريات التي أجريت في فلسطين قيام اليهود بتدمير أية مدن أو مواقع كنعانية، ولكن أولبرايت الذي عبر في كلماته السابقة عن مدى عنصريته الفظة حتى في التفريق بين وثنية الكنعانيين والرومان حاول جاهدًا اختراع تاريخ لليهود وجعله حلقة الوصل بين حضارات الشرق القديم وأوروبا.

ويشرح كيث وايتلام فلسفة أولبرايت في دراسته للتاريخ بأنها قائمة على فكرة التقدم التطوري للكائنات، بحيث يصبح من الطبيعي أن تحل إسرائيل القديمة محل الشعوب التي كانت موجودة في فلسطين، ويأتي ذلك في إطار تبرير إبادة الشعب الفلسطيني ونفي تاريخه ويفصل ذلك أولبرايت بقوله: (لا يمكننا الارتقاء روحيًا إلا من خلال الكوارث والمعاناة، بعد التخلص من العقد النفسية وذلك عن طريق التطهر، وهذا التطهر العميق هو الذي يرافق التحولات الرئيسة وكل فترات المعاناة الذهنية والمادية التي يتم فيها القضاء على القديم قبل ولادة الجديد مما يثمر نماذج اجتماعية مختلفة وبصيرة روحانية أعمق).

ومكافأة له على جهوده نال أولبرايت كل درجات التكريم من قبل قادة الكيان الصهيوني، كما حظي بتكريم الصليبيين في بلاده ممثلين في الجمعية الأمريكية لأصدقاء جمعية استكشاف إسرائيل، والجدير بالذكر أن أولبرايت رغم انحيازه الفج وعنصريته السافرة كان يعد رمزًا للموضوعية في الدراسات الآثارية، ويعلق على ذلك كيث وايتلام بقوله: (إن الأساس الديني لاختلاق أولبرايت لإسرائيل القديمة وتصويره لها على أساس أنها تمثل الجذور الثقافية والعقلانية والروحية للمجتمع الغربي يبدو ظاهرًا في كل أعماله، وأن عدم تعرض الدراسات التوراتية لهذه الأفكار عند تقييم أعمال أولبرايت هو

شيء يدعو للقلق ...لأنه مثل العديد من الباحثين التوراتيين الذين جاءوا بعده لم يفكر فيما سيترتب على تبرير قتل الإسرائيليين للشعب الفلسطيني).

وحاول أولبرايت أن يؤكد أنه عندما قدم إلى فلسطين لأول مرة فيما بين سنتي ١٩١٩-١٩٢٠م كان محايدًا وكان صديقًا للعرب بقدر ما كان صديقًا لليهود، إلا أنه يعترف بتعاطفه مع الصهيونية الثقافية ثم ما لبث أن صار متعاطفًا مع الصهيونية السياسية منذ سنة ١٩٤٠م، ومن ذلك الحين صار يطالب بالحقوق التاريخية المزعومة لليهود، والتأكيد على نفي التاريخ الفلسطيني، إذ يقول في هذا الصدد: (إن ما هو أهم من الحق التاريخي الصريح هو قوة الدفع العاطفية الهائلة لإعادة إحياء صهيون ففلسطين هي وطن آباء إسرائيل وشعرائها وأنبيائها، وفلسطين هي ورشة العمل التي انتج فيها اليهود وسائط الثقافة الغربية التوراة والعهد الجديد).

ومن الآثاريين والمؤرخين الصليبيين الذين ساروا على نهج وليام أولبرايت، سأذكر أتوقف عند ثلاثة هم مارتن نوت، وهيرمان، وجورج إرنست رايت:

يبدأ مارتن نوت كتابه: (تاريخ إسرائيل) الصادر في سنة ١٩٦٠م بالاعتراف بأن مصطلح أرض إسرائيل قد ورد مرة واحدة في سفر صموئيل الأول، ويتجاهل نوت تاريخ فلسطين ويصف تاريخ إسرائيل بقوله: (إن تاريخ إسرائيل كان دومًا وبشكل عميق متأثرًا بالأرض التي نشأ فيها لذلك فإن معرفة الجغرافيا الطبيعية لفلسطين تعد أحد الشروط الأساسية لفهم حقيقي لتاريخ إسرائيل، وتفسير تاريخ إسرائيل يجب أن يكون مسبوقًا بعرض مختصر لخصائص الأرض ذاتها)، وبذلك تكون فلسطين مجرد ميدان دارت فيه أحداث تاريخ إسرائيل، ويتمادى نوت في غيه فيصف فلسطين بأنها: (أرض جرداء خالية من الوجود وخالية من الوجود الآدمي، وإن كان فيها سكان فهم مجهولون).

أما هيرمان فله عدة كتب وأبحاث منها كتابه: (تاريخ إسرائيل في أزمان العهد القديم) الصادر في سنة ١٩٧٥م الذي يصف فيه فلسطين بأنها كانت مجرد مشهد لتاريخ إسرائيل، ويتخلى الرجل عن العقل والمنطق بإصراره على أن أرض فلسطين لم تنبت زرعًا طوال تاريخها، ولم يستطع التغلب على ذلك إلا الصهاينة بعد قيام دولتهم في فلسطين، وهو بذلك يؤكد المقولة الأساسية في الخطاب الصهيوني: (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، ولا يكتفي هيرمان باغتصاب فلسطين فقط بل يؤكد على الحدود التوراتية لأرض إسرائيل من النيل إلى الفرات، ويؤكد في الوقت نفسه نفي التاريخ الفلسطيني بقوله: (إن تاريخ إسرائيل مرتبط عضويًا بالأرض ذاتها، أو بالأحرى الأراضي التي حدث فيها هذا التاريخ، وهذا هو بالفعل ما حدث مع شعب إسرائيل في العهد القديم، وبإمكاننا أن نرى بدايات إسرائيل الأولية في شمال سوريا والعراق القديم من جهة، وفي شمال غرب مصر من جهة أخرى، قبل أن تجد إسرائيل وطنًا في فلسطين أرض الميعاد وهي ملكها الخاص الذي هو ليس محل نزاع إطلاقًا).

ثم نأتي إلى جورج إرنست رايت وهو تلميذ وليام أولبرايت النجيب الذي سار على خطى أستاذه، وحاول من خلال كتبه أن يجرد الفلسطينيين من حقوقهم والادعاء بأن أرضهم قد منحت من الله إلى شعبه المختار.

وخصص رايت فصلاً بعنوان: (الأرض هدية الله) في كتابه: (كتاب الأفعال الإلهية) الصادر في سنة ١٩٦٠م، جاء فيه: (أن احتلال أرض كنعان الذي بواسطته تمكنت إسرائيل من تأمين أرض لها قد فسر على أنه هدية إلهية لميراث هذه الأرض وهكذا أصبح هناك مفهوم خاص لمعنى الملكية والالتزام أمام الإله لأن الأرض كانت هدية من الإله ... أن الحضارة والديانة الكنعانيتين كانتا من أحط الثقافات اللاأخلاقية التي عرفها العالم المتحضر آنذاك، وهكذا فإننا نعتقد أن إسرائيل كانت الواسطة الإلهية في تدمير حضارة فاسقة، وهناك غاية إلهية من وراء اختيار إسرائيل للقيام بهذه المهمة وبإعطائها تلك الأرض، وهذه الغاية موضحة في الوعود الإلهية لآباء إسرائيل كما وردت في سفر التكوين).

لم يلتزم علماء الآثار الصليبيين والصهاينة بالأسس العلمية بل كانوا ينقبون ليس بهدف المعرفة بل إلى تأصيل جذورهم، وقد كشف بعض محاولات هذا التأصيل لورنس ديفيدسون أستاذ التاريخ بجامعة وستشستر بولاية بنسلفانيا في كتابه : "الآثاريات التوراتية والصحافة"، فشرح كيف استخدم الصهاينة الآثار لإيجاد موطئ قدم لهم في فلسطين منذ عشرينيات القرن العشرين الميلادي، ودور الصحافة الأمريكية في مساعدتهم على ذلك حيث قامت صحيفة نيويورك تايمز في الفترة ما بين سنتي ١٩٢٠ – ١٩٢٩م بنشر ١١٩ مقالاً عن الآثار في فلسطين، كان ٩٣ منها عن الآثار المتعلقة بمواقع ذكرت في العهد القديم، وعشر مقالات عن مواقع ذكرت في العهد الجديد، وستة عشر مقالاً عن موضوعات مختلفة ليس من بينها مقالاً واحدًا عن تاريخ العرب وحضارتهم في فلسطين قبل الإسلام أو بعده، وقامت الصحيفة كذلك بدور في تغيير الأسماء العربية للمواقع الأثرية بفلسطين إلى أسماء عبرية، ومنها:

موقع بيسان (تل الحصن الذي يقع في وادي الأردن الشمالي)؛ تم تغيير اسمه إلى: بيت شآن، وهو المكان الذي ظهر فيه الملك شاؤل للمرة الأخيرة حسب الرواية التوراتية. (نيويورك تايمز ١٩٢١/٤/٢٤م).

موقع تل الفول (يقع على بعد ميلين شمال القدس)؛ تم تغيير اسمه إلى: جبعة شاؤل. (نيويورك تايمز ١٩٢٢/٤/٢٥م).

موقع تل مجدو (تل المتسلم)؛ تم تغيير اسمه إلى هرمجدون. (نيويورك تايمز ١٩٢٥/٩/١٣م).

هذا ويؤكد الآثاريين الصهاينة دائمًا على استخدامهم علم الآثار من أجل الادعاء بوجود يهودي في فلسطين، وحسبنا شهادة أحدهم الذي يقول: (ويظهر الدور الرمزي لعلم الآثار في الثقافة السياسية الإسرائيلية فعلماء الآثار الإسرائيليين وكذلك المحترفون

والهواة من الإسرائيليين لا ينقبون عن الآثار لمجر الوصول إلى المعرفة أو العثور على الأدوات، إنما لتأكيد جذورهم).

وهكذا يحاول الصليبيين والصهاينة إنكار تاريخ فلسطين تارة، وإنكار وجود الفلسطينيين تارة أخرى، فعندما كانت فلسطين موجودة في الماضي لم يكن هناك فلسطينيون، والآن يوجد الفلسطينيون لكن فلسطين غير موجودة.

ويحاول الصهاينة منذ استيلاءهم على القدس سنة ١٩٦٧م تدمير المسجد الأقصى وتشييد الهيكل المزعوم، وفيما يلي أبرز المحاولات التي قام بها الصهاينة ورصدتها مؤسسة الأقصى:

عقب احتلال القدس في السابع من يونيو سنة ١٩٦٧م دخل موردخاي جور قائد القوت الصهيونية التي احتلت القدس إلى ساحة المسجد الأقصى في عربة مجنزرة، وقام برفع العلم الصهيوني فوق قبة الصخرة، وأنزل العلم بعد تدخل من القنصل التركي في القدس.

في الثامن من يونيو سنة ١٩٦٧م وقف موشي ديان وزير الحرب الصهيوني آنذاك أمام حائط البراق وقال: (لقد وحدنا من جديد القدس المبتورة عاصمة إسرائيل المشطورة، ورجعنا إلى قدس أقداسنا، عدنا إليها ولن نتركها إلى أبد الآبدين).

في التاسع من يونيو سنة ١٩٦٧م أقدم الصهاينة على منع المسلمين من أداء صلاة الجمعة في المسجد الأقصى وذلك لأول مرة منذ تحرير صلاح الدين الأيوبي الأقصى من قبضة الصليبيين سنة ١١٨٧م.

بعد احتلالهم للقدس استولى الصهاينة على حارة المغاربة التي تقع إلى الغرب من المسجد الأقصى وتواجه حائط البراق، وفي الحادي عشر من يونيو ١٩٦٧م هدم الصهاينة حارة المغاربة بما تشتمل عليه من مبان أثرية وتاريخية مثل: وقف أبي مدين الغوث، وزاوية المصمودي وغيرها من المساجد والمدارس والزوايا التي ترجع إلى عصور إسلامية مختلفة.

قام الحاخام الأكبر للجيش الصهيوني شلومو جورن وخمسين من الصهاينة بأداء طقوس يهودية في ساحة الحرم الشريف في الخامس عشر من يونيو سنة ١٩٦٧م.

قامت سلطات الكيان الصهيوني بالاستيلاء على مبنى الزاوية الفخرية الواقع في الجهة الغربية من ساحة المسجد الأقصى، وذلك في السادس عشر من يونيو سنة ١٩٦٧م.

في الثامن والعشرين من يونيو سنة ١٩٦٧م أعلنت وزارة الداخلية الصهيونية عن توسيع بلدية القدس لتمتد حتى رام الله شمالاً وبيت لحم جنوبًا، وفي اليوم التالي قامت سلطات الكيان الصهيوني بحل مجلس أمانة القدس العربية وصادرت جميع أملاكها.

في الثامن عشر من أبريل سنة ١٩٦٨م استولى الصهاينة على حارة الشرف، وفي الرابع من أكتوبر سنة ١٩٧٠م هدمت الجرافات الصهيونية الحارة بأكملها، وكان بها ستة مساجد هي: مسجد المحارب، والمسجد العمري، ومسجد عثمان ين عفان، ومسجد

عمر المجرد، ومسجد حارة الشرف الكبير، ومسجد حارة الشرف الصغير، وثلاثة مدارس هي: المدرسة الطشتمرية (شيدت سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م)، ودار الحديث (شيدت سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م)، ودار القراء.

في الرابع عشر من يونيو سنة ١٩٦٩م هدم الصهاينة أربعة عشر أثرًا إسلاميًا ما بين مساجد وزوايا وخانات وغيرها كانت موازية للحائط الغربي للحرم الشريف.

في الحادي والعشرين من أغسطس سنة ١٩٦٩م قام الصهاينة بإحراق المسجد الأقصى سعيًا لتدميره، ولكن أبناء فلسطين المرابطين تصدوا للنيران وحالوا دون امتدادها إلى سائر أنحاء المسجد بعد أتت على المنبر الذي يعود لعهد السلطان نور الدين محمود.

في الثلاثين من يوليو سنة ١٩٨٠ أصدر الكنيست الصهيوني قرارًا بضم القدس للكيان الصهيوني.

في الثالث من سبتمبر سنة ١٩٨١ رفضت السلطات الصهيونية قيام لجنة أعمار الأقصى ببناء حائط خراساني حول بئر قايتباي.

في الثاني عشر من مايو سنة ١٩٨٢م قام مراقب بلدية القدس الغربية الصهيوني بتدنيس المسجد الأقصى للتأكد من تطبيق الأوامر الصهيونية التي تنص على عدم قيام مؤسسة الأوقاف الإسلامية بإجراء أي أعمال ترميم وإصلاح في المسجد الأقصى.

في السابع والعشرين من يناير ١٩٨٤ أجهضت يقظة الحراس المسلمين محاولة تفجير المسجد الأقصى من قبل إحدى الجماعات الصهيونية.

في الخامس من أكتوبر ١٩٨٤ قامت مجموعة من الصهاينة بالصلاة في إحدى غرف المدرسة التنكزية، وهي التي تقع ضمن الأروقة الغربية للمسجد الأقصى، وشيدت سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م، في العاشر من سبتمبر ١٩٩٠م استولى الصهاينة على المدرسة التنكزية، وتستخدم الآن مقرًا لقوات حرس الحدود الصهيونية.

صادرت سلطات الكيان الصهيوني أكثر من ٢٥,٠٠٠ دونم من أراضي القدس الشرقية في الفترة ما بين سنتي ١٩٦٧، ١٩٩٧م منها ١,٤٣٠ دونمًا بعد توقيع اتفاقية أوسلو.

منع رئيس بلدية القدس الصهيوني يهود أولمرت إدارة الأوقاف الإسلامية من إتمام أعمال الترميم الجارية في المصلى المرواني بالحرم الشريف في العاشر من ديسمبر سنة ١٩٩٩م، وفي العشرين من الشهر نفسه هددت السلطات الصهيونية إدارة الأوقاف الإسلامية بقطع المياه عن الحرم الشريف إذا لم تتوقف أعمال الترميم.

منعت القوات الصهيونية التي تحاصر المسجد الأقصى شاحنتين محملتين بمواد بناء من الدخول إلى المسجد الأقصى في الخامس والعشرين من يناير سنة ٢٠٠٠م.

في الخامس عشر من فبراير سنة ٢٠٠٠م كشفت صحيفة (كول هعير) الصهيونية عن خطة لحفر نفق جديد تقوم بحفره وزارة الأديان في الكيان الصهيوني تحت حائط البراق.

في يوليو ٢٠٠٣م استقبل وزير الإسكان الصهيوني إيفي إيتام مجموعة من الصهاينة الأمريكان، وشرح لهم أثناء اللقاء الأساليب التي يتبعها الكيان الصهيوني لتهويد القدس فقال: (خلال مائة سنة كان اليهود أثرية داخل أسوار البلدة القديمة من دون أن تكون هناك أية قيود على تنقلاتهم بين الأحياء، واليوم لا يوجد أي سبب يمنع عودة هذا الوضع كما كان، ويجعل اليهود أكثرية داخل أسوار القدس، وسيتم ذلك عن طريق بناء مشاريع لإسكان المزيد والمزيد من اليهود)، ومن أجل تحقيق ذلك طرحت سلطات الكيان الصهيوني مشروع (الحوض المقدس) سنة ٢٠٠١م، وتشمل حدود هذا المشروع البلدة القديمة بالقدس، ويمتد من حائط البراق إلى بلدة سلوان، ويهدف إلى الإسراع بتحويل الأحياء العربية في القدس إلى مناطق ذات أكثرية يهودية.

وفي الثامن عشر من فبراير سنة ٢٠٠٤م وقع انهيار في الطريق المؤدي إلى باب المغاربة من جهة باب البراق في المسجد الأقصى، وهي المنطقة التي سيطر عليها الصهاينة بعد احتلال شرقي القدس سنة ١٩٦٧م، وأجريت فيها عدة حفريات في محاولة للوصول إلى أساسات الهيكل المزعوم، وصرح الشيخ عكرمة صبري مفتي الديار الفلسطينية وخطيب المسجد الأقصى بأن مثل هذه الانهيارات كانت متوقعة لأنها تمثل جزءاً من مخطط صهيوني لتدمير المسجد الأقصى، وتندرج في إطار الجهود الصهيونية لتهويد مدينة القدس وطمس المعالم العربية والإسلامية بها.

وأشار عدنان الحسيني مدير الأوقاف الإسلامية بالقدس إلى أن أسباب انهيار الطريق تعود إلى الحفريات المستمرة التي تقوم سلطات الكيان الصهيوني وأخرها كان تفريغ التراب من التلة التي يستند عليها الممر المنهار واستبدالها بهياكل معدنية مما أدى لانهيار الطريق، ونوه الحسيني إلى أن استمرار الحفر يهدد وجود المسجد الأقصى لأن أساساته لا تتحمل حفر أية أنفاق تحت سطح مبانيه.

ويقول المهندس عصام عواد المسئول عن الترميم في المسجد الأقصى أن سلطات الكيان الصهيوني ومنذ سنة ١٩٦٧م تمنع إدارة الأوقاف الإسلامية من الدخول إلى منطقة باب المغاربة، بعد إزالة حارتي المغاربة والشرف وتخصيص حائط البراق مكاناً للصهاينة يؤدون فيه صلاتهم، كما تقوم السلطات الصهيونية بمنع إجراء أية ترميمات في المسجد الأقصى ومنع دخول أي مواد بناء للمسجد الأقصى منذ سنة ١٩٩٩م وحتى تاريخ انهيار الممر في سنة ٢٠٠٤م، وذلك للحيلولة دون إتمام عمليات الترميم الضرورية.

وفي الأول من أبريل ٢٠٠٤م نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية أجزاء من تقرير عن الهزة الأرضية التي ضربت فلسطين في فبراير ٢٠٠٤م أعدته إدارة الآثار في الكيان الصهيوني، وجاء فيه أن تلك الهزة قد أحدثت تصدعات في الحائط الشرقي السجد الأقصى، ويخشى أن تؤدي إلى انهيار المصلى المرواني، وأشار الآثاري الصهيوني يوحنان زليجمان إلى أن الحائط الشرقي المسجد الأقصى معرض للانهيار في أي وقت، وأضاف: (هناك تسرب كثيف للمياه، وتصدعات واضحة في بعض

الأعمدة والحائط يواصل التحرك، وعلى رغم أن هذه ظاهرة عمرها سنوات طويلة إلا أنها تشكل الآن خطرًا ملموسًا يجب معالجته من دون أي تأجيل).

وجاء في التقرير أيضًا: (أنه تم الكشف أخيرًا عن وجود علامات مقلقة في المسجد الأقصى قد تدل على حدوث تزعزع معيق في ثبات أرضية المسجد الأقصى، ولقد تم في السنة الأخيرة معالجة النتواءات التي ظهرت في الحائط الجنوبي، وأدت الهزة الأرضية التي حدثت في فبراير ٢٠٠٤م إلى تضرر باب المغاربة فضلاً عن زيادة الميل في الحائط الشرقي).

لكن المسئولين عن المسجد الأقصى نفوا المعلومات التي وردت في تقرير إدارة الآثار الصهيونية، وذكروا أن الانهيار المحتمل للحائط الشرقي للحرم الشريف أو المصلى المرواني يرجع إلى الحفريات المستمرة تحت الحرم الشريف، وقررت إدارة الأوقاف الإسلامية بالقدس استدعاء نائب رئيس لجنة أعمار المسجد الأقصى وقبة الصخرة المهندس رائف نجم لفحص الحائط الشرقي والمصلى المرواني، والبدء في إجراء ترميمات لكليهما.

وفي عددها الصادر في الثالث عشر من ديسمبر ٢٠٠٤م أشارت صحيفة يديعوت أحرونوت إلى أن البلدية الصهيونية بالقدس قررت هدم الجدار والطريق المؤديان إلى باب المغاربة، وتشييد جسر خشبي تستطيع القوات الصهيونية من خلاله اقتحام المسجد الأقصى عند الضرورة، ونقلت الصحيفة عن أحد مهندسي البلدية الصهيونية قوله: (إن التلة التي أقيم عليها طريق باب المغاربة غير ثابتة ومن المتوقع أن تنهار مع بداية موسم الشتاء، ولا بد من إزالة الجدار الإستنادي وهدم الطريق).

وحذرت مؤسسة الأقصى لأعمار المقدسات الإسلامية من هدم الجدار والطريق المؤديان إلى باب المغاربة، وصرح رئيسها علي أبو شيخة بأن المؤسسة التي يوجد مقرها في مدينة أم الفحم قد حاولت مرات عديدة ترميم الجزء المنهار من الطريق إلا أن سلطات الاحتلال الصهيوني منعت دخول مواد البناء إلى المسجد الأقصى.

واستولت سلطات الكيان الصهيوني على بيت الشرق وأغلقت كافة المؤسسات الفلسطينية العاملة في القدس بموجب اتفاقيات أوسلو الموقعة مع الفلسطينيين سنة ١٩٩٣م.

ويوضح الأرشمندريت عطا الله حنا الناطق الرسمي باسم الكنيسة الأرثوذكسية في القدس أهداف الصهاينة من الاستيلاء على بيت الشرق وإغلاق المؤسسات الفلسطينية بقوله: (إسرائيل تسعى منذ سنة ١٩٦٧م إلى تهويد المدينة المقدسة والمساس بمقدساتها العربية الفلسطينية وهي إجراءات مرفوضة وغير شرعية والاستيلاء على بيت الشرق عمل استفزازي خطير تحاول إسرائيل من خلاله طمس عروبة القدس والمساس بصمود المقدسيين الذين يسعون للحفاظ على مدينتهم العربية الفلسطينية الإسلامية – المسيحية، إن إسرائيل تعامل الفلسطينيين وهم أصحاب الديار والأرض وكأنهم غرباء، تسعى لجعلنا عابري سبيل خاصة في القدس، هي تأتي بالمهاجرين الجدد من روسيا وغيرها

من الدول ليستوطنوا بلادنا، إن بيت الشرق رمز من رموز الوجود العربي في القدس والمساس به مساس بهذا الوجود).

الحفريات الصهيونية في القدس:

المرحلة الأولى: (أواخر سنة ١٩٦٧ – ١٩٦٨م)

تمت على امتداد ٧٠ متر ووصل عمقها إلى ١٤ متر، وكانت أسف الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى.

المرحلة الثانية: (١٩٦٩م)

تمت امتداد ٨٠ متر، بدأت من حيث انتهت المرحلة الأولى، واتجهت شمالاً حتى وصلت إلى باب المغاربة وتم خلال هذه المرحلة أربعة عشر أثرًا إسلاميًا.

المرحلة الثالثة: (١٩٧٠ – ١٩٧٤م)

بدأت أعمال الحفر أسفل مبنى المحكمة الشرعية وسارت تحت خمسة أبواب هي: السلسلة، والمطهرة، والقطانين، والحديد، وعلاء الدين البصيري، وامتدت الحفريات لمسافة ١٨٠ متر، ويتراوح عمقها ما بين ١٠- ١٤ متر، وتم بناء كنيس يهودي أسفل مبنى المحكمة الشرعية.

المرحلة الرابعة:

بدأت سنة ١٩٧٣م ولا تزال مستمرة حتى الآن، وكانت نقطة بدايتها خلف الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى وامتدت لمسافة ٨٠ متر، واخترقت في يوليو ١٩٧٤م الحائط الجنوبي، ووصلت أسفل محراب المسجد الأقصى، وفي سنة ١٩٧٥م بدأ الحفر قرب منتصف الحائط الشرقي للمسجد مابين باب السيدة مريم والزاوية الشمالية الشرقية لسور القدس، وأما الاعتراضات الدولية على هذه الحفريات قرر الصهاينة أجراؤها بطريقة سرية إلى أن تم كشف النفق الذي افتتح في الرابع والعشرين من سبتمبر ١٩٦٦م.

وفي سبتمبر ٢٠٠٥م أعلنت سلطات الكيان الصهيوني عن قرب افتتاح ما تدعي أنه موقع أثري يهودي أسفل المسجد الأقصى، وكشفت مؤسسة الأقصى لأعمار المقدسات الإسلامية في تقرير صدر في العشرين من سبتمبر ٢٠٠٥م أن إدارة الآثار الصهيونية تقوم بحفريات أسفل المسجد الأقصى في شارع الواد وباب السلسلة، وتخطط إدارة الآثار الصهيونية لإقامة نواة لمدينة سياحية أسفل المسجد الأقصى ويتزامن ذلك مع عروض خيالية لأصحاب المنازل والمحلات في شارع الواد وباب السلسلة، ووصل الأمر إلى عرض مبلغ ٢٠ مليون دولار لصاحب أحد المطاعم ليتنازل عنه لصالح المشروع الصهيوني.

وفي يناير سنة ٢٠٠٥م نظم التحالف الصليبي الصهيوني مهرجان الهيكل الحادي عشر، ومن المنظمات الصهيونية التي شاركت في المهرجان: "معهد أبحاث الهيكل"، ومنظمة "حي وقيام" التي أسست صندوقًا باسم "بيت مال الهيكل" لجمع الأموال اللازمة لبناء الهيكل بعد هدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة، كما شاركت منظمة"حركة مؤمني الهيكل وأرض إسرائيل"، ومنظمة "حركة بناء الهيكل"، ومنظمة "جوش أمونيم"،

وحركة "كاخ"، أما المنظمات الصليبية التي شاركت في المهرجان فكان منها:"اتحاد المسيحيين من أجل إسرائيل"، و "أصدقاء إسرائيل المسيحيين"، و "مركز المسيحيين الصهيونيين"، و "الزعامة المسيحية الوطنية من أجل إسرائيل"، و "منظمة السفارة المسيحية العالمية"، وتعد الأخيرة من أكثر المنظمات الصليبية نشاطًا ودعمًا للكيان الصهيوني، وبوجد مقرها في القدس ولها فروع في مختلف أنحاء العالم، وتقدم الدعم المادي للمستوطنات الصهيونية المقامة على الأراضي العربية المحتلة سنة ١٩٦٧م في الضفة الغربية وغزة والجولان.

أملاك الكنيسة الأرثوذكسية في القدس:

إن التحالف الصليبي الصهيوني لاغتصاب تاريخ فلسطين وآثارها مستمرحتى مطلع القرن الحادي والعشرين، ويتجلى ذلك في التعاون الوثيق يسن الكيان الصهيوني والكنيسة الأرثوذكسية بالقدس التي تدار من قبل قساوسة أغلبهم من اليونان، وتملك الكنيسة ما يعادل ٧% من أراضي فلسطين، و٢٧% من أراضي القدس، وهي عبارة عن أوقاف أوقفها المسيحيون العرب على الأماكن المقدسة.

ودأبت الكنيسة على بيع الأراضي المملوكة لها للصهاينة خاصة في القدس بقسميها الغربي والشرقي، ومن المباني التي شيدت على أراض مشتراة أو مؤجرة لسنوات طويلة من الكنيسة الأرثوذكسية الكنيست الصهيوني، ومقر رؤساء الكيان الصهيوني، وفي الوقت نفسه تقوم الكنيسة التي يسيطر عليها القساوسة اليونانيين بإبعاد القساوسة العرب من المناصب العليا بها، وعندما اختير أيرينيوس الأول بطريركًا للكنيسة الأرثوذكسية في القدس سنة ٢٠٠٢م ربطت سلطات الكيان الصهيوني الاعتراف به بعزل الأرشمندريت عطا الله حنا الناطق الرسمي باسم البطريركية لاعتراض الصهاينة عليه لمواقفه الشجاعة في دعم كفاح أبناء أمته.

وفي مارس ٢٠٠٥م أقدم أحد مساعدي أيرينيوس الأول على بيع أراض تملكها الكنيسة الأرثوذكسية في القدس إلى شركة تتبع منظمة عطيرات كهونيم الصهيونية، وعلق مروان طوباسي عضو المجلس المركزي لكنيسة الروم الأرثوذكس على عملية البيع بقوله: (هذه أراض فلسطينية وليست في كريت أو اليونان).

وفي عددها الصادر في ٢٩ أبريل ٢٠٠٥م نشرت صحيفة معاريف الصهيونية صورة الاتفاق الذي أبرمه المسئول الملي في الكنيسة الأرثوذكسية بالقدس نيكولاس بابا ديموس مع محامي الشركة الصهيونية في ١٦ أغسطس ٢٠٠٤م، ومن ضمن وثائق الاتفاق توكيل يسمح بموجبه أيرينيوس الأول لبابا ديموس بإبرام الصفقة وتأجير فندقي إمبريال والبتراء الواقعين في ميدان عمر بن الخطاب بباب الخليل والمباني المجاورة لهما إلى الشركة الصهيونية لمدة ١٩٨ سنة، والتوكيل موثق لدى مكتب المحامي الصهيوني يعقوب ميرون وقد صدر في يونيو ٢٠٠٤م.

وتفاعلت الأزمة وفقد معها أيرينيوس الأول كرسيه، وتم انتخاب ثيوبيلوس الثالث بدلاً منه، لكن سلطات الكيان الصهيوني لم تعترف به فقدم التماسًا إلى المحكمة العليا الصهيونية، لكن السلطات الصهيونية اشترطت تصديقه على الصفقة للاعتراف به.

اغتصاب الآثار المسيحية والإسلامية في فلسطين:

في مطلع سنة ٢٠٠٤م وأثناء إقامة جدار العزل العنصري قام الجيش الصهيوني بتدمير موقع دير مسيحي يعود للعصر البيزنطي، وأزالت جرافات الجيش الصهيوني الجزء الأكبر من الدير الواقع بالقرب من بلدة أبو ديس، ولم يلتفت الجيش الصهيوني لنداء إدارة الآثار في الكيان الصهيوني التي حذرت من الإقدام على تدمير الموقع الأثري، وجاء في بيان للجيش الصهيوني ردًا على اعتراض إدارة الآثار: (إذا كانت إدارة الآثار تعتقد أن الجيش خالف القانون فليتقدموا بشكوى للشرطة).

ويأتي هذا الرد الجاهل المتعجرف ليعبر عن حرص الصهاينة على تدمير كافة المعالم الأثرية في فلسطين، لكنه في الوقت نفسه يظهر مدى حقدهم على الأرض الفلسطينية التي ما أن يضرب فيها معول إلا وتظهر آثار الحضارات المتعاقبة التي مرت بها، وهيهات أن يكون أسلاف هؤلاء البرابرة مروا بها أو تركوا بها أثرًا ولو شققة فخار.

وأوضح الآثاري الصهيوني ياحيل زلينجر أن الدير المسيحي الذي دمرته جرافات الجيش الصهيوني يتكون من كنيسة وعدة غرف وفناء خارجي يتوسطه بئر، وأضاف: (لقد كشفت أعمال التنقيب عن منطقة سكنية وإسطبلات، وعثر تحت الفناء الداخلي على لوحة من الفسيفساء تزينها أشكال هندسية وحيوانية منها غزال وإخطبوط، وقد تضررت اللوحة الفسيفسائية، وتم رفعها مع مجموعة من القطع الفخارية من الموقع).

في ديسمبر ٢٠٠٤م أصدرت المؤسسة العربية لحقوق الإنسان في مدينة الناصرة بحثًا تناولت فيه ما تعرضت له الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٤٨م من تدنيس على أيدي الصهاينة، ومن الأماكن المقدسة التي دنسها الصهاينة على سبيل المثال لا الحصر:

إنشاء مركز تجاري حول مسجد البحر في طبرية.

إقامة منطقة صناعية حول مسجد وكنيستين في قرية البصة.

تحويل مسجد عين الزيتونة بالقرب من صفد إلى حظيرة للبقر في سنة ٢٠٠٣م.

تحويل مسجد عين حوض في حيفا إلى حانة.

تحويل عدة مساجد في عسقلان وقيسارية إلى مطاعم.

انتهاك حرمة مقبرة دير ياسين بالقرب من القدس، وتحطيم شواهد قبورها، أما مقبرة قرية البصة فقد تحولت إلى جزء من منطقة صناعية بعد نبش القبور، كما نبشت قبور مقبرة صرفند الواقعة غرب مدينة الرملة، ونزعت شواهد قبورها واستخدمت في ترصيف الشوارع.

تدمير أكثر من ٨٠٠ قرية مدينة بما تحتويه من مبان أثرية وتراث حضاري.

تغيير أسماء أكثر من عشرين ألف موقع تاريخي وأثري، واستبدال الأسماء العربية بأسماء عبرية، وتدوين المعلومات المزيفة في موسوعة الأراضي المقدسة التي أصدرها الكيان الصهيوني، كما تم تثبيت الأسماء الجديدة على خرائط أعدت لهذا الغرض.

وفي الوقت نفسه يقوم الصهاينة بتدمير الآثار العربية والإسلامية في المدن الفلسطينية، فبعد تدمير أغلب المباني الأثرية في جنين أتى الصهاينة على آثار نابلس، وهي المدينة التي تضم آثار ترجع إلى فترات تاريخية مختلفة وتعد من أهم آثارها مجموعة من المعابد الكنعانية، والعديد من المساجد، والزوايا، والخانقاوات، والبيوت التي تعود لعصور إسلامية متفاوتة، وهي مواقع أثرية سجلتها منظمة اليونسكو ضمن قائمة التراث العالمي، فاجتاحتها دبابات الإرهابي الصهيوني شارون في ديسمبر ٢٠٠٣م، ويناير ٢٠٠٤م فدمرت حي القصبة بكل ما فيه من مبان أثرية ومشاهد حضارية.

وتتعرض مدينة الخليل منذ احتلالها سنة ١٩٦٧م لمحاولات تهويد مستمرة فقد قام حاخامات يهود في الثامن من يونيو ١٩٦٧م بالصلاة في المسجد الإبراهيمي، وأطلقوا عليه اسم (كنيس ماكفيلا)، ثم أقام الصهاينة مستعمرة (قريات أربع) سنة ١٩٧١م، وفي سنة ١٩٨٧م بدا الصهاينة بالصلاة في المسجد الإبراهيمي، وبعد المجزرة التي نفذها أحد الصهاينة بالمسجد سنة ١٩٩٦م أقدمت سلطات الاحتلال الصهيوني على تقسيم المسجد بين المسلمين والصهاينة، ولما كان المسجد يتكون من خمسة أجزاء شيدت طوال العصور الإسلامية فقد استولى الصهاينة على ثلاثة أجزاء وتركوا اثنين فقط للمسلمين، ويغلق المسجد بالكامل أمام المسلمين لمدة عشرة أيام في السنة، وهي الأيام التي يحتفل فيها الصهاينة بأعيادهم، ولا يزال الكيان الصهيوني يسعى لطمس الطابع العربي الإسلامي للمدن الفلسطينية.

الرد على المحاولات الصليبية الصهيونية للسيطرة على تاريخ فلسطين وآثارها

اعتمد الصليبيين والصهاينة على العهد القديم في دراستهم لتاريخ فلسطين وآثارها رغم القصور الذي يعتريه، وهو الذي يتألف من أربعة وأربعين سفرًا دونت في أزمان متفاوتة، وكشفت النقوش المسمارية، و الهيروغليفية، والفينيقية، والأوجارتية عن تأثيرات حضارات الشرق الأدنى على أسفار العهد القديم.

وإذا كان الصهاينة يتمسكون بما يعدونه دليلاً على أن ربهم يهوه قد وهب لهم أرض فلسطين طبقًا لما جاء في سفر التكوين: (وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكًا أبديًا وأكون إلههم وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم) (التكوين ١٧: ٨ - ٩)، فالأرض إذا أرض الكنعانيين قبل أن يحل بها اليهود.

وهناك العديد من الأدلة في التوراة على أن الكنعانيين واليبوسيين كانوا يسكنون أرض فلسطين، وأنها لم تكن ملكًا لليهود، ومنها:

(ودفنه أسحق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي الذي أمام ممر الحقل الذي اشتراه إبراهيم من بني حث هناك دفن إبراهيم وسارة امرأته) (التكوين ٢٥: ٨ – ١٠).

(وقال الرب لموسى أذهب أصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وأسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها وأنا أرسل أمامك ملاكًا وأطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين) (الخروج ٣٢: ١ – ٣).

(أحفظ ما أنا موصيك اليوم ها أنا طارد قدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين احترز أم تقطع عهدًا مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا في وسطك بل تهدمون مذابحهم وتكسرونا أنصابهم وتقطعون سواريهم) (الخروج ٣٤: ١١ – ١٢).

(وكلم الرب موسى في عربات مؤآب على أردن أريحا قائلاً كلم بني إسرائيل وقل لهم أنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم تملكون الأرض وتسكنون فيها لأني أعطيتكم الأرض لكي تملكوها) (العدد ٣٣: ٥٠ – ٥٤).

ولقد أوضحت العديد من الدراسات مدى التناقض بين روايات العهد القديم والحقائق التاريخية والآثارية في فلسطين، ويعبر عن ذلك روجيه جارودي بقوله: (ونصوص التوراة في معظمها شواهد رائعة على ما يمكن للبشر أن يبدعوه على أنه صورة نموذجية لما هو إلهي في نفوسهم)، أما عمانويل أناتي فيقول: (ليس لأي اسم من أسماء الشخصيات الواردة في تاريخ آباء العهد القديم شخصية تماثله في النصوص التاريخية ... وكل ما يبرهن عنه علم الآثار أن هناك مجموعات بشرية كانت تجوب صحراء سورية والأردن وسيناء).

وجاء في كتاب: "اليهود في تاريخ الحضارات الأولى". للمؤرخ جوستاف لوبون: (إن تأثير اليهود في تاريخ الحضارات صفر ... وهم لم يستحقوا أن يعدوا من الأمم المتمدنة بأي وجه فما يسمى بحضارتهم القديمة كانت في حقيقتها ترقيعًا من عناصر مصرية وبابلية وهلنستية ... كان بنو إسرائيل متمردون على الفنون تمردًا مطلقًا ... أنهم لم يقيموا معابد أو قصور لم تكن فلسطين أو أرض الميعاد غير بيئة مختلقة لبني إسرائيل، فالبادية هي الوطن الحقيقي لبني إسرائيل)، وجاء في كتاب: "الانتداب على فلسطين" لفرانسيس نيوتن: (لم يوجد في فلسطين نقش واحد يمكن أن ينسب إلى المملكة العبرية لقد فشلت اليهودية في أن تقدم أي أثر لداود أو سليمان، أو أي نقش أو حجر أو حتى نصب تذكاري، ولهذا فإن قضيتهم تفتقر إلى دليل مادي مسجل على غرار الأمثلة التي توجد لحياة شعوب غرب آسيا).

كانت القدس تعرف باسم يبوس نسبة إلى اليبوسيين وهم من بطون العرب الذين هاجروا من الجزيرة العربية إلى فلسطين نحو سنة ٢٥٠٠ ق.م، وشيدوا قلعة في الجهة الجنوبية الشرقية من القدس سميت بقلعة يبوس، وهي التي أطلق عليها فيما بعد حصن صهيون، وتعرف الآن باسم الأكمة، أو هضبة أوفل، أو جبل صهيون، وصهيون كلمة كنعانية تعني الجبل أو الحصن، ويذكر حسن ظاظا أن يبوس: (هو الاسم الفلسطيني الأصلي لمدينة القدس، وهي من أصل سامي عربي مشترك "أ ب س" بمعنى سمن وامتلأ).

ولا يملك محررو التوراة إلا الاعتراف بقدم الوجود العربي السابق لوجودهم في فلسطين فقد جاء في سفر صموئيل الثاني: (كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك أربعين سنة، في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وفي أورشليم ملك ثلاثًا وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض) (صموئيل الثاني ٥: ٤:٦).

ثم غلب على القدس الاسم الكنعاني "يورشاليم" والتي تعني مدينة المعبود شاليم وهو أحد المعبودات الكنعانية، وقيل: أنه معبود السلام، وهناك من يرى أنه معبود الغروب.

وعُرفت القدس في حضارات الشرق الأدنى بأسماء مشتقة من هذا الاسم الكنعاني، فقد أشارت مجموعة من النقوش كتبت بالخط المسماري وعثر عليها في تل العمارنة بمصر إلى القدس باسم "أورو سالم" أو "روشاليموم"، وهذه النقوش عبارة عن رسائل أرسلها حاكم القدس إلى الملك أمنوفيس الثالث (١٤١١ – ١٣٧٥ ق.م)، وإلى ابنه الملك أخناتون (١٣٧٥ – ١٣٥٠م)، ثم ورد ذكر القدس في نقوش آشورية ترجع لعصر الملك سنحاريب (٧٠٤ – ٦٨١ق.م) تحت اسم "أورو سليمو"، وذكرت في المصادر اليونانية منذ عهد الإسكندر الأكبر باسم هيروسوليما، والاسم "أورشليم" انتقل إلى العبرية من الاسم الكنعاني فالقدس مدينة الكنعانيين وليست مدينة اليهود.

وجاء في أسفار التوراة أن أورشليم مدينة اليبوسيين، وأنها غريبة على اليهود فقد ورد في سفر يشوع: (وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم)، ويعترف سفر القضاة بأن أورشليم مدينة غريبة على بني إسرائيل إذ جاء في السفر المذكور: (وفيما هم عند يبوس، وقد أنحدر النهار جدًا، قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها. فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بني إسرائيل هنا) (القضاة ١٩: ١١-١٢).

وأكدت الحفريات الأثرية التي أجريت في فلسطين عامة وفي القدس الشريف خاصة كذب الادعاءات الصليبية الصهيونية، ومن الجهات العلمية، والمؤرخين، والآثاريين الذين قاموا بدراسة تاريخ فلسطين أو أجروا بها تنقيبات، وأثبتت تنقيباتهم، ودراساتهم عدم تطابق روايات العهد القديم مع تاريخ فلسطين، ولم يعثروا على أية أدلة أثرية تؤكد وجود يهودي بها:

المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية:

تأسست المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية في القدس سنة ١٩٠٠م، وبدأت أول بعثة أمريكية للتنقيب عن الآثار في فلسطين عملها في موقع بيسان تحت إشراف متحف جامعة بنسلفانيا واستمرت التنقيبات لمدة عشرة مواسم فيما بين سنتي ١٩٢١ – ١٩٣٣م، ولم تكشف سوى عن عدة حصون مصرية ترجع إلى الفترة ما بين القرنين الرابع عشر، والثاني عشر قبل الميلاد، وعثر أيضًا على بعض الهياكل للمعبودات الكنعانية، وبعد هذه النتائج المخيبة للآمال انتقلت المدرسة الأمريكية للتنقيب في موقع تل بيت مرسيم الذي يقع إلى الجنوب الغربي من الخليل، والمذكور في سفر يشوع على أنه قرية سفر أو دبير، وأكدت نتائج التنقيبات التي استمرت لمدة أربعة مواسم في الفترة ما بين سنتي ١٩٢٦ – ١٩٣٢م أن تاريخ هذا الموقع يرجع إلى الفترة ما بين الألف الثالث قبل الميلاد وحتى سنة ٥٨٩ق.م، مما يبعده كثيرًا عن التاريخ المفترض ليشوع.

وليم أولبرايت:

من أوائل الذين حاولوا الترويج للنظرية الصليبية الصهيونية القائلة بأن الآثار المكتشفة في فلسطين لا تتعارض مع التوراة بل تتوافق معها، كما يعد في مقدمة الآثاريين الصليبيين والصهاينة الذين قيل عنهم أنهم جابوا أرض فلسطين حاملين التوراة في يد والمجراف في اليد الأخرى، وشغل منصب رئيس المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية، وعمل في فلسطين خلال الفترة ما بين سنتي ١٩٢٠ – ١٩٣٥م، ويقول عن الحفريات التي أجريت بين سنتي ١٩٢٣ – ١٩٢٨م: (وفيما بين سنتي ١٩٢٣ إلى ١٩٢٨م قامت سلسلة من البعثات بالتنقيب في تل الأكمة في القدس ... ووجدت بهذا التل كمية كافية من المباني والفخار تثبت بصفة قاطعة أنه كان النواة الأصلية لمدينة داود)، لكنه لم يلبث أن تصطدمه نتائج الحفريات التي تجرى في فلسطين فيعود للاعتراف بأن التنقيبات التي أجريت في تل الدوير (لخيش) فيما بين سنتي ١٩٣٢ – ١٩٣٨م أوضحت أن القلعة التي كانت تنسب إلى عهد داود ثبت أنها ترجع إلى العصر الهلنستي أي أنها أحدث من التاريخ المفترض حسب روايات العهد القديم بخمسة قرون، وأن شارع الأعمدة الذي عثر عليه في المنطقة نفسها، وكان ينسب إلى عهد هيرود الآدومي، إنما يرجع إلى القرن الثالث أو الرابع الميلاديين.

وكثيرًا ما يتناقض أولبرايت مع نفسه التي تجره لخدمة الأهداف الصهيونية، ومن الأدلة على ذلك قوله:(كثيرًا ما يدعى أن الناحية العلمية في حفائر فلسطين قد أصابها ضرر بليغ بسبب المعتقدات الدينية التي يعتنقها العلماء الذين قاموا بالتنقيب في الأراضي المقدسة)، ثم يعترف بوقوع ذلك ويذكر بعض النماذج، ويحاول التهوين من أثرها: (وقد كانت هناك بعض المشكلات مثل مشكلة شارلز مارستون الذي دفعه حماسه غير المهذب إلى تفسير بعض اكتشافات ستاركي تفسيرًا خاطئًا، ولكن الدمار الذي أصاب الحياد العلمي من هؤلاء المنقبين بسيط في الواقع).

وبعدما أعيت الحيل أولبرايت فإنه يعترف بأن مصر كانت أكرم من فلسطين مع الباحثين على نصوص التوراة، فقد عثر في الفيوم على بعض أجزاء التوراة المكتوبة باللغة العبرية لكنها لا تعود لأقدم من القرن الرابع الميلادي، ثم يصرح أولبرايت بالتناقض بين مرويات العهد القديم، وما أسفرت عنه الحفريات بقوله:(آثار فلسطين قلما تساعدنا في إلقاء ضوء مباشر على شخصيات التوراة، ويرجع ذلك بوجه أخص إلى ندرة النقوش، وفي الواقع ذكرت شخصيات من التوراة في النقوش التي عثر عليها خارج فلسطين أكثر مما ذكرت في النقوش التي عثر عليها في فلسطين).

ماركيت كراوس:

أجرى ماركيت كراوس حفريات في موقع مدينة عاي - تعرف باسم دير ديوان، وتقع بالقرب من القدس وهي مدينة كنعانية قديمة - المذكورة في سفر يشوع، ويقدم العهد القديم يشوع على أنه الشخص الذي احتل مدينة عاي وأحرقها فقد جاء في سفر يشوع: (فبكر يشوع في الغد إلى عاي وجميع رجال الحرب الذين معه صعدوا وأتوا إلى مقابل المدينة. ونزلوا شمال عاي ... ودخل "العبريون" المدينة وأخذوها وأسرعوا وأحرقوا المدينة بالنار) (يشوع ٨: ١٠-١٥)، لكن نتائج الحفريات التي أجراها ماركيت كراوس فيما بين سنتي ١٩٣٣ – ١٩٣٥م دلت على أن عاي قد أحرقت في نحو سنة ٢٠٠٠ ق.م أي قبل التاريخ المفترض ليشوع بأكثر من ٧٥٠ سنة، وظلت المدينة غير مأهولة لمدة ألف سنة تقريبًا، ويعلق الأب ديفو وهو من الآثاريين الفرنسيين الذين عملوا في القدس لمدة طويلة على التناقض بين روايات سفر يشوع وما أكدته الحفريات التي أجريت في موقع مدينة عاي بقوله:(إن أحداث فتح هذه المدينة قد جرى تفصيلها بإسهاب شديد "في سفر يشوع" ... ومن المؤسف أن الحفريات الأثرية قد كذبت هذا الاستيلاء ... فعند وصول الإسرائيليين إليها لم يكن هناك مدينة بهذا الاسم وإنما كان هناك مدينة قديمة عمرها ١٢٠٠ سنة)، ومن الآثاريين الذين أجروا تنقيبات في عاي جيمس بريتشارد من جامعة برنستون، وأكد أنه لم يعثر في الموقع على مدينة معاصرة ليشوع.

كاثلين كينون:

قامت بإجراء حفريات بالقدس في الفترة من سنة ١٩٦١م إلى سنة ١٩٦٧م، ومما قالته عن نتائج حفرياتها: (إن أورشليم داود هي مفتاحنا للولوج إلى التاريخ الإسرائيلي، ولكن تنقيباتنا لم تكشف إلا القليل مما يمكن أن نعزوه لتلك الفترة، ولقد جهدنا من أجل توضيح هذا القليل، وإني لعلى ثقة بأن البينات الآثارية على أي شيء آخر قد فقدت تمامًا ... إذا كان على المرء أن يعتمد على البينات الأثرية في موقع أورشليم فمن المستحيل عليه أن يخرج بنتيجة عن نشاطات سليمان العمرانية)، وتعترف كينون بالتناقض بين التوراة والأدلة الأثرية بقولها: (لقد وصفت أسفار التوراة وبشكل احتفالي مجد المملكة الموحدة، وبقيت ذكراها مؤثرة على الأفكار والتطلعات اليهودية عبر العصور، ومع ذلك فإن الشواهد الأثرية عن هذه المملكة ضئيلة إلى حد كبير)

بنيامين مازار:

قام بالحفر في المنطقة الواقعة جنوب المسجد الأقصى في الفترة ما بين سنتي ١٩٦٧ ــ ١٩٧٨م، وذكر في أحد التقارير التي نشرتها الجمعية الأثرية الإسرائيلية سنة ١٩٧١م أن الحائط الجنوبي للمسجد الأقصى هو بناء إسلامي ولا يوجد أسفله أية آثار يهودية، ويلخص مازار نتائج حفرياته في القدس بقوله: (رغم أن حكم داود قد استمر في أورشليم قرابة أربعين سنة، إلا أننا لم نعثر إلا على القليل جدًا من اللقى الأثرية التي تعود إلى العصر الداودي سواء في موقع أورشليم أو خارجها، فما من بينة معمارية ضخمة أو منشأة هامة يمكن لنا بيقين وصفها بالداودية).

ويقول مازار عن روايات العهد القديم: (إن روايات سفر التكوين "المنسوب إلى موسى عليه السلام" تعود إلى أصول كتبت خلال الفترة التي كانت فيها مملكة داود قد تأسست، والإضافات والملحقات التي أضافها كتاب التوراة المتأخرون إنما قصد بها سد الفوارق للقراء المعاصرين، وعندما كتب السفر لأول مرة لم يرجع مؤلفوه إلى التراث القومي الشائع، ولكن أيضًا إلى الأعمال الأدبية المختلفة والتي اشتملت على أساطير أرض الرافدين وكنعان وملاحمهم وقد طوعها كتاب السفر لروح التوحيد عند بني إسرائيل).

نحمان افيجاد:

أشرف على الحفريات الصهيونية بالقدس في الفترة من سنة ١٩٦٩م إلى سنة ١٩٨٣م، ولم يعثر على آثار تؤكد وجود الهيكل المزعوم.

ييجال شيلوح:

أشرف على الحفريات الصهيونية بالقدس في الفترة من سنة ١٩٧٨م وحتى سنة ١٩٨٥م، ولم يتوصل إلى ما يربط بين أرض فلسطين وروايات العهد القديم.

زئيف هيرتزوج:

رئيس قسم الآثار في جامعة تل أبيب أثبت من خلال أبحاثه وحفرياته التي استمرت لمدة ثلاثين عامًا بأنه لا يوجد في طول فلسطين وعرضها دليل أثري واحد يثبت المزاعم اليهودية، وختم نتائج أبحاثه بقوله: (مع الأسف لا وجود لنا في فلسطين ... إن الإسرائيليين لم يكونوا عبيدًا قط في مصر، ولم يتيهوا في الصحراء، كما أنهم لم يدخلوا إلى أرض كنعان كأبطال منتصرين).

ويعلق على التناقض بين روايات التوراة وما كشفته الحفريات بقوله: (هنالك شرخ كبير في رواية التوراة للتاريخ القديم كشفته الحفريات والأبحاث الأثرية، والعلم الحديث لا يعتمد على الروايات المكتوبة بل الآثار في الأساس، وعلم الآثار صار علمًا مستقلاً تمامًا، وما يحدث لنا في إسرائيل هو أننا لا نريده علمًا مستقلاً، بل نريد للآثار أن تثبت الرواية التاريخية وهذا معاكس ليس للعلم فقط بل للحقيقة التاريخية).

وجاء في مقال نشره بصحيفة هآرتس في ١٩٩٩/١١/٢٨م ما يلي: (إن الحفريات المكثفة في أرض إسرائيل خلال القرن العشرين قد أوصلتنا إلى نتائج محبطة. كل شيء

مختلق ونحن لم نعثر على شيء يتفق والرواية التوراتية. إن قصص الآباء في سفر التكوين هي مجرد أساطير...إن المملكة الموحدة لداود وسليمان التي توصف في التوراة بأنها دولة عظيمة، كانت في أفضل الأحوال مملكة قبلية صغيرة ...إنني أدري باعتباري واحدًا من أبناء الشعب اليهودي، وتلميذًا للمدرسة التوراتية، مدى الإحباط الناجم عن الهوة بين آمالنا في إثبات تاريخية التوراة وبين الحقائق التي تتكشف على أرض الواقع. إنني أحس بثقل هذا الاعتراف على عاتقي، ولكنني ملتزم بتدقيق ونقد وتعديل تفسيراتي ونتائجي السابقة).

إسرائيل فنكلشتاين:

أستاذ الآثار في جامعة تل أبيب، قام بإجراء حفريات في كل المواقع الوارد ذكرها في التوراة وعرض نتائج الحفريات التي قام بها مع زميله في جامعة تل أبيب ديفيد أوسيشكين أمام مؤتمر جمعية علم الآثار التوراتي الذي عقد في سان فرانسيسكو سنة ١٩٩٧م، واختتم فنكلشتاين مداخلته أمام المؤتمر بقوله: (إن صورة أورشليم في زمن داود وابنه سليمان قد تلونت عبر العصور بظلال رومانسية وأسطورية. وقد ساعد الحجاج الوافدون والصليبيون وأصحاب الرؤى من كل نوع على ذيوع القصص الخرافية عن عظمة مدينة داود ومعبد سليمان، لكن العمل الميداني لم يوفق في العثور على دلائل حياة سكنية خلال القرن العاشر قبل الميلاد في أورشليم التوراتية. إن غياب الدلائل على وجود الحياة السكنية هنا لا يقتصر على فقدان البنى المعمارية الضخمة بل يتعدى ذلك إلى كسر الفخار التي يتميز بها القرن العاشر قبل الميلاد في بقية المواقع).

أما ديفيد أوسيشكين فقد اختتم كلمته أمام المؤتمر قائلاً: (إنه ليصعب عليّ تقبل هذه الوقائع أرجو من الملك سليمان أن يسامحني).

وصرح فنكلشتاين أمام ندوة عقدتها جامعة بن جورين سنة ١٩٩٨م بأن التوراة قد فقدت أهميتها بوصفها مصدرًا تاريخيًا فيما يتعلق بأصول إسرائيل والمملكة الموحدة لأنها وثيقة متأخرة كتبت فصولها الأولى في القرن السابع قبل الميلاد، فلا يعقل أن تكون مصدرًا تاريخيًا لإحداث جرت في القرن العاشر قبل الميلاد. لذا فإن البحث عن أصول إسرائيل في الأراضي الفلسطينية يجب أن يعتمد على المعلومات الأثرية.

وأصدر فنكلشتاين كتابًا بالاشتراك مع المؤرخ الأمريكي نيل سلبرمن جاء فيه: (أثبت البحث الأثري في السنوات الأخيرة أنه لم يكن هناك شريحة من اليهود يعرفون القراءة والكتابة، ومن يقول أنه يكتب التاريخ القديم اليوم بالاعتماد على الوثائق فإنه يخدع فلا توجد مواد مكتوبة من فترات التاريخ القديم، وما وقع من أحداث في القرن الثاني عشر قبل الميلاد كتب بعد خمسمائة سنة من وقوعها وضم الكثير من القصص الوهمية).

جدعون فرستر:

أستاذ الآثار الرومانية في الجامعة العبرية بالقدس، أعلن في شهر يوليو سنة ٢٠٠٣م أنه عثر على أدلة أثرية تثبت أن الأثر المعروف بطنطورة فرعون (يد

أبيشالوم) والتي تقع إلى الشمال الشرقي من القدس أثرًا مسيحيًا وليست لها أية صلة باليهود الذين كانوا يقدسونها منذ القرن الثاني عشر الميلادي على أساس أنها رمزًا مقدسًا للعن الأبناء المتمردين على آبائهم، لأن أبيشالوم كان متمردًا على أبيه داود.

وكان الآثاري الصهيوني نحمان أبيجاد قد حصل على درجة الدكتوراه عن أطروحة توصل فيها إلى أن طنطورة فرعون أثرًا يهوديًا، إلا أن الأدلة الأثرية التي قدمها جدعون فرستر ومنها نقش بالخط اليوناني أكدت أن الموقع مقدس لدى المسيحيين منذ القرن الرابع الميلادي.

نداف نئمان:

آثاري صهيوني رد على القائلين بكفر أي يهودي ينفي تطابق روايات التوراة مع الآثار المكتشفة في فلسطين بقوله: (على العكس نحن المؤمنون الحقيقيين لأننا نبحث عن الصدق فقط ولا نشارك في عملية تشويه التاريخ ... هناك من يحسب أنه عندما يقبل التوراة كما هي يصبح أكثر إيمانًا، ولكن التوراة كتبت بعد خمسمائة سنة من آخر إصحاحاتها فما الذي يضمن أن تحفظ كمية هائلة من القصص والكلمات كما هي طول هذه المدة؟ من منطلق بحثنا عن الصدق والحقيقة نحاول أن نعيد قراءة التاريخ كما هو بلا تشويه).

توماس طومسون:

يعد من أبرز المؤرخين الذين تصدوا للنظريات الصليبية الصهيونية بخصوص فلسطين، ودفع ثمن ذلك غاليًا فبعد أن أنجز أطروحته لنيل درجة الدكتوراه من جامعة تيبنجن بألمانيا سنة ١٩٧١م، رفضت الجامعة منحه الدرجة لأنه ناقش في أطروحته تاريخ الآباء العبرانيين، وخلص إلى صعوبة إثبات تاريخية القصص الواردة في العهد القديم، كما توصل إلى أن فلسطين لم تقم بها أية سلطة سياسية ذات أهمية كبرى، ولم يقم بها تاريخ مشترك إلا في الفترات التي كانت تحكم فيها من قبل قوى خارجية مثل الآشوريين أو الفراعنة.

واضطر طومسون للعودة إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٧٥م، ويتحدث عن تلك الفترة بقوله (وفي عام ١٩٧٥م تركت ألمانيا وعدت إلى الولايات المتحدة، لكن الجدل حول كتابي عن الآباء منعني من الدخول إلى ميدان التدريس الجامعي فامتهنت حرفة طلاء البيوت وتفرغت لها).

وظل طومسون يمارس عمله في طلاء البيوت حتى سنة ١٩٨٥م فتم تعيينه أستاذًا في المدرسة التوراتية التابعة للرابطة التوراتية الكاثوليكية في القدس لمدة سنة واحدة، عاد بعدها إلى الولايات المتحدة للتدريس في جامعة ماريت في ولاية ويسكونسن، وما أن نشرت مراجعة لكتابه: "التاريخ المبكر لبني إسرائيل" في إحدى الصحف البريطانية حتى طرد من الجامعة لأنه تجرأ على القول بأنه لا مكان لداود و إمبراطوريته في تاريخ إسرائيل، ويعلق على الطرد بقوله: (كنت أطمع إلى البقاء في منصبي بجامعة

ماريت، رغم كون المسئولون غير سعيدين ببحثي. لأني قد أثرت الدعاوى العقيدة اللاهوتية المحافظة، وبدا عملي يعارض الرسالة الكاثوليكية للجامعة).

والجدير بالذكر أن الصهاينة دأبوا على ملاحقة المؤرخين والباحثين الذين يشككون في الادعاءات الصهيونية فعوقب الكثيرون بسحب درجاتهم العلمية، أو تعرضوا لمحاكمات بالسجن والغرامة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الفرنسيان بول راسيينه، وهنري روكيه، والبريطاني ديفيد أرفنج، ولم يكتف الصهاينة بمطاردة من يشكك في تاريخهم ويكشف جرائمهم من غير اليهود بل شملت ملاحقتهم حتى لليهود أنفسهم فقد أقدمت جامعة حيفا على طرد الباحث الصهيوني تيدي كاتس الذي قدم أطروحة للحصول على درجة الماجستير حول المجزرة التي ارتكبتها العصابات الصهيونية في بلدة الطنطورة بالقرب من حيفا وقتلت خلالها أكثر من ٢٥٠ فلسطينيًا في ليلة الثاني والعشرين من مايو سنة ١٩٤٨م.

ويذكر طومسون في كتابه: "الماضي الخرافي التوراة والتاريخ": (في تشكيل العهد القديم لا نتعامل مع تراثات تم تقديمها واعتبارها قديمة. إذا كانت لفائف البحر الميت تعود للعهود الهلينية والإغريقية – الرومانية فإن أي شيء أقدم ليس معروفًا إلا كماض مسرود أو ماض منقول ... إن تاريخ إسرائيل في معظمه تاريخ أوروبي. سواء كان يهوديًا أم مسيحيًا قد كتبته أوروبا لغايات أوروبية خالصة)، ويؤكد على التباعد بين مرويات التوراة وما أثبته علم الآثار بقوله: (إن إسرائيل التي يقدمها العهد القديم تقف في تباين حاد مع إسرائيل التي نعرفها من العمل الآثاري الميداني)، وبعد سنوات من الدراسة والتمحيص توصل إلى النتيجة التالية: (إن العهد القديم لم يكن تاريخًا تحول إلى خيال بل خيال تحو إلى تاريخ).

كيث وايتلام:

رئيس قسم الدراسات الدينية بجامعة ستيرلنج باسكتلندا، أصدر عدة أبحاث وكتب عن تاريخ فلسطين من أهمها كتابه: "اختلاق إسرائيل القديمة – إسكات التاريخ الفلسطيني" فضح فيه تزييف الصهاينة للتاريخ، وشرح كيف تجاهلت الدراسات التوراتية تاريخ فلسطين، ووصفها بأنها لا تمثل تاريخًا خاصًا وأن تاريخها هو تاريخ إسرائيل، ولم تكن فلسطين في نظر الدراسات التوراتية سوى معرض للآثار التوراتية النادرة.

كما أشار وايتلام إلى الدراسات التي تنكر التاريخ الفلسطيني خلال الفترات التاريخية المختلفة، وتصور فلسطين على أساس أنها المسرح الذي شهد فصول تاريخ إسرائيل القديمة، ويعلق على ذلك بقوله: (فمجرد إشارة كل هذه الدراسات إلى المنطقة الجغرافية على أنها فلسطين مع عدم الإشارة إلى السكان على أنهم فلسطينيون إنما هو إنكار وإسكات للتاريخ الفلسطيني، إن ما يقدم دومًا إلينا هو وصف للأرض ذاتها أما سكانها فمجهولون أو غير موجودين ... إن الدراسات التوراتية متورطة في تجريد الفلسطينيين من وطنهم ولهذا مقابل سياسي معاصر متمثل في السيطرة على الأرض

وسلب الشعب الفلسطيني أرضه وتصويره على أنه شعب بلا تاريخ أو تجريده من هذا التاريخ... إن لفظ فلسطينيون باعتبارهم سكان هذه الأرض هو استعمال نادر للغاية في الدراسات التوراتية فإن كانت هناك أرض تدعى فلسطين فلماذا لا يمكن تسمية مواطنيها بالفلسطينيين).

ويشكك كيث وايتلام في قيام المملكة اليهودية وفقًا لنتائج الحفريات التي أجريت في طول فلسطين وعرضها ولم تسفر عن أية مكتشفات أثرية تدل على تلك المملكة المزعومة، وينتهي إلى نتيجة مفادها: (إن غياب أي سجل أثري يتعلق بهذه اللحظة الحاسمة في تاريخ المنطقة ساهم بقوة في تحقيق الإجماع على إسقاط هذا الماضي المتخيل، لأن غياب أي سجل أثري يثير اخطر الشكوك حول تصور إمبراطورية إسرائيلية كانت تعبيرًا عن حضارة نهضوية مجيدة مما يوحي بأننا أمام ماض متخيل ... إن البحث عن إسرائيل القديمة قد جعل المؤرخين وعلماء الآثار يميلون للتأكيد على أن الانقطاع في الآثار المادية هو دليل على عدم الاستمرارية في النواحي الثقافية والعرقية أيضًا).

ويختم كيث وايتلام كتابه بتوصية يطالب من خلالها الآثاريين والمؤرخين بالتحرر من قبضة الدراسات التوراتية، كما يطالب بموقع للتاريخ الفلسطيني ضمن الخطاب الأكاديمي في أقسام الجامعات الغربية التي تجاهلت هذا التاريخ مفترضة أنه جزء من تاريخ إسرائيل القديمة، ويحث وايتلام الآثاريين والمؤرخين على دراسة التراث الحضاري لفلسطين القديمة والذي تشهد به المصادر المكتوبة وفي مقدمتها التوراة نفسها إلى جانب المكتشفات الأثرية التي خلفها الشعب الفلسطيني على مر العصور، وبذلك ينتهي وايتلام إلى نتيجة مؤداها: (إن تاريخ إسرائيل القديمة يبدو لحظة قصيرة في التاريخ الفلسطيني القديم)

ليمك:

تأتي شهادة هذا المؤرخ لتبرز التناقض بين النصوص التوراتية، والتنقيبات الأثرية فيقول في هذا الصدد: (إن الهوة كبيرة بين النص الثابت والأحداث، بما يكفي لعدم تقبلنا العهد القديم مصدرًا أوليًا لإعادة بناء الماضي ... إن المحصلة لم تتغير، رواية تظهر عن تاريخ إسرائيل قبل المملكة الموحدة، سرعان ما يتم تعديلها إثر ظهور معطيات أثرية جديدة. لقد تطلب الأمر من الناحية العملية ضرورة خلق تصور ما لتاريخ إسرائيل القديم، ما يلبث أن يتم التراجع عنه بعد نقاش مضن يفند التصور السابق مبرهنًا على استحالته في ضوء المعلومات المستجدة).

إبراهام دوني:

ألف كتابًا بعنوان: "البدايات والنهايات لدولة إسرائيل" وصف فيه قصص العهد القديم بدخول اليهود إلى فلسطين بأنها مشوهة ومزيفة، وخلص إلى القول بأن دولة إسرائيل الحالية غير شرعية ولن تكون أرض الميعاد لأن أساسها باطل، وقد نشرت جامعة تل أبيب كتاب إبراهام دوني الذي أشار إلى آراء المؤرخين الذين يشاطرونه الرأي مما حدا بصحيفة معاريف الصهيونية أن تنتقدهم بقولها: (لا يمكننا قبول هذه الخرافات التي ينادي بها هؤلاء العلماء. نحن نحترمهم نعم، ونقدر علمهم نعم، لكن ليس من المقبول أن نتقبل إهانتهم للكتب التوراتية وقصص آبائنا ... ماذا يمكن أن يحدث بعد هذه التصريحات من قبل أعدائنا. سيقولون ألم نقل لكم أنكم تحرفون التوراة وأنكم تضعون قصصًا ومعتقدات من نسج خيالكم)، حقًا أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ومن الآثاريين والمؤرخين العرب الذين تصدوا للادعاءات الصهيونية:

عبدالرحمن الطيب الأنصاري:

شارك في الحفريات التي أجرتها كاثلين كينون في القدس، ويذكر عن مشاركته تلك ما يلي: (لقد سبق وأن شاركت سنة ١٩٦٦م في حفرية في القدس مع عالمة الآثار الشهيرة كاثلين كينون وكانت أوسع حفرية أجريت في مناطق مختلفة من القدس وما حولها ونزلت إلى أعماق تصل إلى عشرين مترًا تحت الأرض ومع ذلك لم يظهر على توال الطبقات ما يدل على وجود يهودي أو عبراني. وهذا يدل على كذب ادعائهم في حقهم في بيت المقدس لأن الرومان اجتثوا المعبد الذي يدعونه، ولم يكن المعبد إن وجد آنذاك إلا مبان بسيطة لم تقو على عوادي الزمن ولكن خلال تلك الحفريات ظهر التتابع الطبقي لوجود عربي خلال العصور الكنعانية والرومانية والبيزنطية والإسلامية بل وما هو أبعد من ذلك فأين الادعاء اليهودي)، ويؤكد الأنصاري بأن سلطات الكيان الصهيوني في الوقت الذي تحاول فيه الادعاء بوجود يهودي على أرض فلسطين فإنها تقوم في الوقت نفسه بتدمير الآثار الإسلامية: (تمر الأيام، ويشاهد العالم كله ما تفعله إسرائيل في المسجد الأقصى، فلا تُسمع من القوى العظمى وهيئة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية سوى القرارات والبيانات والتعليقات ... لقد هدمت الآثار الإسلامية في نابلس وفي غيرها، ولا مجير لهذه الآثار، التي كانت مفخرة للحضارة الإسلامية في فلسطين، أما المساجد والزوايا فحدث ولا حرج فقد تحول بعضها إلى حانات، وبعضها إلى مراقص وبعضها إلى مرابط للحيوانات. تلك هي حضارة القرن الحادي والعشرين التي يريدونها أن تصبح سمة الشرق، لتسود حضارة الهدم والاغتصاب، بمفهومه الواسع، لإخراج أصحاب الأرض منها ليتمتع بها آخرون هم عنها أغراب، وتتكرر مأساة سكان العالم الجديد، عندما وصل الرجل الأبيض إلى الأمريكتين).

فراس السواح:

من أبرز الباحثين العرب في مجال الرد الدعاوى الصهيونية في فلسطين، ومن مؤلفاته: "آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي"؛ و "تاريخ أورشليم "، وأبرز الباحث في الكتاب الأول الفشل الذي مني به علم الآثار التوراتي في محاولته للربط بين روايات العهد القديم وفلسطين (لقد فشلت حتى الآن كل الجهود التي بذلت من أجل إثبات تاريخية أحداث قصة الخروج، ولم يستطع المؤرخون وضع هذه الأحداث ضمن إطار تاريخي محدد ... وفي الحقيقة فإن البحث الأثري والتاريخي قد فشل حتى الآن في تحديد مسار الخروج اعتمادًا على الرواية التوراتية فالمواقع التي مر بها الإسرائيليون غير مذكورة خارج النص التوراتي والمواقع التي تحمل أسماء مشابهة في سيناء لم يعط المسح الأثري فيها نتائج تشجع على إجراء أية مطابقة بينها وبين مواقع الخروج).

وعن أخبار المملكة الموحدة في العهد القديم يقول فراس السواح: (إن مملكة داود وسليمان ليست مستبعدة تاريخيًا فقط بل إنها مستحيلة الوجود، ناهيك عن نتائج التنقيب الأثري في موقع أورشليم ذاتها، والذي اظهر أن مدينة أورشليم في القرن العاشر قبل الميلاد لم تكن إلا بلدة صغيرة جدًا، ومن غير الممكن أن تكون هذه البلدة قد استطاعت بناء هيكل ديني يربو على مساحتها).

ويختم فراس السواح النتائج التي توصل إليها في هذا الكتاب قائلاً: (لقد أوصلتنا دراسة المخلفات المادية للثقافة الإسرائيلية إلى القول بأن أرض فلسطين لم تعرف شعبًا متميزًا اسمه الشعب الإسرائيلي، ولا ثقافة خاصة يمكن تعريفها بالثقافة الإسرائيلية. فكل ما كشف عنه علم الآثار يشير إلى ثقافة كنعانية في تطورها الطبيعي ... إن اللغة التي نطق بها الإسرائيليون وكتبوا بحروفها هي لغة كنعانية، وآدابهم هي آداب كنعانية، ومعتقدهم التوراتي الذي وجدوا فيه مصدر تميزهم قد نشأ وتطور نتيجة لجدليات المؤسسة الدينية الكنعانية. ولا ينجم عن ذلك كله إلا القول بأن الشعب الذي أنتج ما يدعى بالثقافة الإسرائيلية، هو فئة كنعانية لم تغادر فلسطين قط، وربما استوعبت إليها فئة ضئيلة من النازحين من مصر).

وفي كتابه: "تاريخ أورشليم: يقول عن الهيكل المزعوم: (إن إعادة تصور هيكل سليمان على الورق اعتمادًا على وصفه الوارد في سفر الملوك الأول وبعض مقاطع من سفر حزقيال، تضع أمامنا مخططًا لمعبد سوري تقليدي (كنعاني) من المعابد المكرسة لمعبودات الخصب، التي شاع بناؤها في بلاد الشام فيما بين أواسط الألف الثاني وأواسط الألف الأول قبل الميلاد، ويعرف هذا المخطط لدى علماء الآثار بنمط المعبد السوري التناظري، وقد كشفت التنقيبات في بلاد الشام عن أكثر من عشرين معبدًا بنيت وفق هذا المخطط).

زياد منى:

يأتي زياد منى في طليعة الباحثين العرب الذين يتصدون للدعاوى الصهيونية في فلسطين، وله عدة كتب وأبحاث في هذه المجال يأتي في مقدمتها، كتابه الهام: "مقدمة في تاريخ فلسطين القديم"؛ وكتاب: "تلفيق صورة الآخر في التلمود – يسوع المسيح والعرب والمسيحيين والأميين"، وقد فند فيهما وفي غيرهما من مؤلفاته كافة الدعاوى الصهيونية في فلسطين من النواحي الدينية، والتاريخية، والأثرية.

سامي سعيد الأحمد:

له عدة أبحاث تتعلق بالادعاءات الصهيونية في أرض فلسطين، ومن أبحاثه: "نقد العهد القديم"؛ و"تاريخ فلسطين حتى التحرير العربي"؛ و"دراسة في معلومات العهد القديم التاريخية عن فلسطين"، وقال في مقدمة الأخير: (اعتمدت الغالبية العظمى من الباحثين الغربية العهد القديم كمصدر لتاريخ فلسطين القديم رغم معرفتهم طبيعة هذا الكتاب والدراسات النقدية الخاصة به والطعنات التي وجهت إلى محتوياته ابتداء من الحبر اليهودي ابن عزرة الذي أعلن سنة ١١٥٠م عن شكه بكتابة موسى للأسفار الخمس الأولى منه).

أحمد نسيم سوسة:

أصدر كتابًا بعنوان: (العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية) فند من خلاله المزاعم الصهيونية في أرض فلسطين، ومما جاء فيه: (إن اليهود لم يتركوا أي كيان سياسي يهودي خاص بهم في تاريخ فلسطين القديم، ولكنهم تركوا ديانة يهودية متأخرة مقتبسة من تراث كنعاني وبابلي وآرامي، وأن عهد الملوك بما فيه عهد داود وسليمان كان عهدًا كنعانيًا بحضارته ولغته وثقافته ... إن اليهود لم يملكوا أي تراث قومي خاص بهم فكل ما مارسوه من لغة وثقافة وديانة وتقاليد وعادات مقتبس من الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين، كما أنه لم يكن لهم وطن إذا كانوا غرباء طارئين على فلسطين.

وخصص في كتابه فصلاً لمناقشة التوراة في ضوء المكتشفات الأثرية خلص فيه إلى النتيجة التالية: (إن شريعة اليهود التي دونها الكهان في فلسطين وبابل لا تخرج عن نطاق الشرائع القديمة التي كان يعمل بها أقوام تلك العصور، ومما لا شك فيه أن مدوني التوراة الذين دونوا أكثر موادها في الأسر في بابل كانوا محيطين بالمدونات القديمة التي كانت في متناول أيديهم ومن الثابت أنهم اقتبسوا الكثير من هذه المدونات).

حسن علي مصطفى خاطر:

أسس المجلس العلمي الفلسطيني في القدس لكن لم يلق دعمًا من المنظمات العربية والإسلامية، ورغم أن المجلس قد أغلق أبوابه لضعف التمويل إلا أنه تمكن من إعداد موسوعة عن القدس، وعبر عن رغبة الصليبيين في طمس الآثار الفلسطينية بقوله: (إن أول الجهات التي تفاعلت مع وجود المجلس ومشاريعه هي المؤسسات الغربية الحكومية

وغير الحكومية، وأذكر أننا خضنا جدلاً مع وفد السفارة البريطانية حول استعداد الحكومة البريطانية لدعم موسوعة المواقع الأثرية والمباني التاريخية في فلسطين، بشرط التعاون مع الآثاريين الصهاينة... وكان ردنا إننا نفضل إرجاء هذا الموضوع إلى حين توفر المال اللازم لتنفيذ هذه الموسوعة على أن نضع أسماءنا إلى جانب أسماء الصهاينة الذين قمنا لمحاربة أكاذيبهم وأباطيلهم في فلسطين)

إذن لم تسفر نتائج الحفريات التي امتدت إلى حوالي ثلاثمائة موقع أثري في فلسطين، وتواصلت منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي حتى مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي عن اكتشاف مبان أو تحف منقولة تؤيد المزاعم الصهيونية في فلسطين، كما فشلت الحفريات الأثرية التي أجريت في القدس في العثور على مدينة أو هيكل أو أسوار أو بوابات في الفترة التي تذكر الرواية التوراتية أن القدس كانت خلالها عاصمة لداود وسليمان عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

إن فلسطين أقدم من إسرائيل في التاريخ فقد ورد مصطلح (فلست، فلسط) في النقوش المصرية التي تعود للقرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتظهر فلسطين في النقوش الآشورية (فلشتو)، وكذلك وردت فلسطين في كتابات هيرودوت في القرن السادس قبل الميلاد لتدل على سوريا الجنوبية، واستخدم الرومان وخلفاؤهم البيزنطيون الاسم بعد القرن السادس قبل الميلاد.

اتفق المؤرخون على هجرة الكنعانيين من شرق الجزيرة العربية إلى فلسطين، وفي مقدمة القائلين بذلك المؤرخ الإغريقي هيرودوت (٤٨٤ – ٤٢٢ ق.م)، والجغرافي الروماني استرابو (٦٤ ق.م – ١٩م)، كما اتفق المؤرخون على الصلة الثابتة بين الكنعانيين والفينيقيين كونهما شعب واحد نسبًا ولغةً ودينًا وتحضرًا، وأنهما انقسما إلى قسمين فسكن الكنعانيون فلسطين، واستقر الفينيقيون في السهل الساحلي لبلاد الشام.

وكشفت آثار أوجاريت عن قدم حضارة الكنعانيين وتطورها، ومنها هيكل للمعبود بعل معبود الكنعانيين الرئيس يرجع لسنة ٢٦٠٠ق.م، والجدير بالذكر أن اليهود قد اقتبسوا فيما بعد تخطيط معابدهم من تخطيط المعابد الكنعانية، وعن تأثر اليهود بالحضارة الكنعانية نتوقف أمام أقوال أربعة من المؤرخين هم:

جون جراي: يتحدث عما كشفته آثار أوجاريت عن التأثير الكنعاني في التوراة بقوله: (إن الدراسة التفصيلية لهذه الوثائق تكشف عن نقاط اتصال غزيرة بينها وبين التوراة، وفوائدها في دراسة التوراة جمة فهي تسجل بصورة وثائقية عبادة الخصب عند الكنعانيين التي تأثر بها العبرانيون، كما تسجل العادات الاجتماعية والعلاقات العائلية والفضائل المتبعة عند الإسرائيليين والمقتبسة من الكنعانيين).

فيليب حتى: يؤكد على اقتباس اليهود التراث الكنعاني قائلاً: (إن كثيرًا من التراث الأدبي الكنعاني اقتبسه العبرانيون ودخل في كتبهم المقدسة، وينطبق هذا على القطع الغنائية والحكم التي استعارتها أسفار المزامير، والأمثال، ونشيد الإنشاد، والأخبار الخرافية التي

دخلت في سفر التكوين وفي قصص الأنبياء، ولم يكن هذا معروفًا إلى أن اكتشفت مدينة أوجاريت).

أحمد عيسى الأحمد: يوضح كيف سرق اليهود لغة الكنعانيين وآدابهم: (إن ما حصل بالنسبة لكتابة أجزاء كبيرة من أسفار التوراة كان أشبه بعملية اقتباس قام بها كتبة هذه الأسفار، ونقول عملية اقتباس تخفيفًا ولكن ليس هناك مبرر للتردد بوصفها أنها كانت أقرب للسرقة الأدبية حيث أن اليهود أخذوا على عاتقهم في مهمة تدوين التوراة نسبة كل ما أخذوه من آداب وفنون المنطقة، حتى أنهم عندما نزلوا أرض كنعان جعلوا لغتهم كنعانية، وقال إشعياء وهو يتنبأ بغلية قومه على أرض مصر: [في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان] [إشعياء ١٩: ١٨].

والز GH.Wells: يشير إلى استقرار الكنعانيين في فلسطين: (لم يكن لبني إسرائيل أهمية تذكر في أيامهم مثلما أصبح تأثيرهم على تاريخ العالم فيما بعد، أن ما يسمى فلسطين الآن كانت معروفة بأرض كنعان وكانت مأهولة بشعب سام يدعى الكنعانيين وهم أقرباء الفينيقيين الذين أسسوا مدن صيدا وصور، وأقرباء العموريين الذين أخذوا بابل وأسسوا بقيادة حمورابي الإمبراطورية البابلية الأولى، بينما كان آباء اليهود آنذاك يعيشون حياة بدوية كرعاة في المنطقة الممتدة من بابل حتى مصر)، وصدق الله القائل على لسان نبيه يوسف عليه السلام: (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو) (جزء من الآية ١٠٠ سورة يوسف).

وكان رئيس وزراء الكيان الصهيوني أسحق رابين (اغتيل في أواخر سنة ١٩٩٥م) قد كلف مجموعة من علماء الآثار الصهاينة أن يقدموا تقريرًا عن نتائج الحفريات الأثرية التي تم أجراؤها في فلسطين، ومدى تطابق تلك النتائج مع روايات العهد القديم، وتم تقديم التقرير إلى خلفه بنيامين نتنياهو، وأبرز ما جاء في التقرير عدم وجود دليل واحد على أن فلسطين هي أرض الميعاد للشعب المختار، وأن الحفريات التي تمت تحت اساسات المسجد الأقصى لم تسفر عن العثور على آثار يهودية، ومن علماء الآثار الصهاينة الموقعين على التقرير: زئيف هيرتزوج، وجدعون افني، و زوني رايخ، وياشير زكوابيتش، و توفيا ساجيف. وقد نشرت مجلة نيوزويك أجزاء من هذا التقرير سنة ١٩٩٦م بواسطة مراسلها في تل أبيب، لكن المجلة ما لبثت تحت الضغوط الصهيونية أن كذبت التقرير وأوقفت مراسلها عن العمل.

وذكر جوناثان تاب رئيس قسم آثار الشرق الأدنى في المتحف البريطاني في ملتقى علمي عقد بلندن في يونيو سنة ٢٠٠٢م ما يلي: (لما كان العرف قد جرى على اعتبار حكم سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد فقد جرى تحديد تاريخ مملكة سبأ في نفس الوقت. وحاول الباحثون الذين يقبلون بتحديد وقت معين لحكم سليمان البحث عن مملكة مناسبة قامت في جنوب الجزيرة العربية في القرن العاشر قبل الميلاد. إلا أن التنقيبات الأثرية التي جرت في فلسطين لم تتوقف عند الشك في تحديد التاريخ المقترح

لحكم سليمان بل إنها تتعارض مع حقيقة وجود مملكة إسرائيل المتحدة بالشكل الذي قدم في الرواية التوراتية).

وجاء في ختام تقرير مركز المعلومات الوثائقية حول إسرائيل CIDI ما يلي: (بعد عقود من البحث الأثري يتفق غالبية علماء الآثار الإسرائيليين على أن ما ورد من قصص في التوراة عن الشعب اليهودي لا أساس له من الصحة)

وأمام الحقائق الآثارية التي تصفع الصهاينة وتؤكد أن كيانهم المقام على أرض فلسطين لا يستند على أدلة أثرية أو تاريخية لجئوا إلى تزوير بعض الأدلة الأثرية أو تفسيرها بحيث تخدم أغراضهم لاغتصاب فلسطين، ومن أمثلة ذلك عل سبيل المثال:

أولاً: لا تزال سلطات الكيان الصهيوني ترفض دراسة مخطوطات البحر الميت (قمران) ونشرها، وهي المخطوطات التي عثر عليها في سنة ١٩٤٧م، وتتضمن أسفارًا من التوراة تختلف كليًا عن التوراة المتداولة بين اليهود، ومما يدعو للأسف أن هذه المخطوطات ظلت في القدس حتى استولى عليها الصهاينة سنة ١٩٦٧م، ويتضامن الفاتيكان مع الصهاينة في رفض نشر مخطوطات البحر الميت خشية من المس بالتوراة، وكشف معلومات جديدة عن البدايات الأولى للديانة المسيحية.

ثانيًا: ادعت منظمة "بناي بريث" الصهيونية حملة بعد الكشف عن وثائق إيبلا في سوريا سنة ١٩٧٥م أن لغة تلك الوثائق هي اللغة العبرية، وأن إيبلا هي أورشليم، لكن لجنة دولية من علماء متخصصين في النقوش والكتابات القديمة أكدت أن لا صلة لوثائق إيبلا باليهود.

ثالثًا: عثر في سنة ١٩٩٣م في تل دان وهو موقع أثري بالقرب من جبل الشيخ على جزء من لوح حجري قام بعض علماء الآثار الصهاينة بقراءة النص على النحو التالي: (... ك بت دود)، وتلقفوا وأشياعهم من الصليبيين النص وسارعوا إلى تفسيره كما يلي: (ملك بيت داود)، بل فسروا كلمة (بت) بأنها تعني (سلالة)، وأرخوا النص بسنة ٨٨٣ ق.م. وربطوا بينه وبين إحدى المعارك التي ورد ذكرها في سفر الملوك الأول، وقد تصدى لهذه المحاولة العديد من الآثاريين والمؤرخين وفي مقدمتهم المؤرخ توماس طومسون الذي شكك في تفسير حرف (ك) الوارد في النقش على أنه جزء من كلمة ملك، وقال أن تفسير كلمة (بت) بأنها تعني سلالة ليس له ما يبرره، إذ أن (بت) تعني معبدًا.

وعلق فراس السواح على هذا الاكتشاف بقوله: (إن داود الذي يؤكد المؤرخون التوراتيون بناءه لإمبراطورية كبيرة امتدت من الفرات إلى البحر المتوسط عبر مناطق وسط وجنوب سوريا ليس في حقيقة الأمر إلا شبحًا تاريخيًا لم يعد يؤرق إلا الحلقات الأكاديمية المحافظة التي ما زالت تبحث وتأمل في الحصول على وثيقة واحدة تعطي تأييدًا للرواية التوراتية، وقد وجد هؤلاء ضالتهم المنشودة في نقش قصير ومشوه عثر عليه المنقب الإسرائيلي أفراهام بيران في موقع دان بشمال فلسطين، قرئت عليه كلمة واحدة تتألف من ستة أحرف هي "ب ي ت د و د"، وفسرت على أنها "بيت داود" وهو

التعبير المستعمل في النص التوراتي للإشارة إلى أسرة أو سلالة داود، وتم تفنيدها بشكل علمي من قبل فيلب ديفس الذي جادل في أن الكلمة تدل على اسم مكان وليس اسم علم).

رابعًا: أعلن الحزب القومي الديني في الكيان الصهيوني في الثاني عشر من يناير سنة ٢٠٠٣م عن اكتشاف لوح حجري بالقرب من المسجد الأقصى سجل عليها نقش بالخط الفينيقي أدعى الصهاينة أنه يرجع إلى سنة ٢٨٠٠ ق.م، وأطلقوا عليه اسم (نص يشوع)، وزعموا أن النقش يشير إلى ترميم معبد أورشليم، لكن الآثارية الصهيونية إيليت مازار شككت في الاكتشاف، ثم أقرت لجنة من خبراء إدارة الآثار في الكيان الصهيوني أن اللوح مزيف لأن النقش يحتوي على أخطاء لغوية واضحة وتوجد به أحرف لا تتطابق طريقة كتابتها مع الفترة التاريخية.

خامسًا: في يونيو سنة ٢٠٠٣م تكشفت أبعاد جريمة تزوير أقدم عليها الصهيوني عوديد جولان الذي قام بتزوير ما أدعى أنه تابوت جيمس شقيق المسيح وابن يوسف، وأعلن الباحث الفرنسي أندريه لومبير أن النقش المكتوب بالخط الآرامي على التابوت يشير إلى جيمس شقيق المسيح، وبذلك أرجع التابوت إلى مطلع القرن الأول الميلادي.

اهتمت الدوائر العلمية الصليبية والصهيونية بالتابوت الذي وصف بأنه الأبرز في تاريخ الأبحاث الأثرية، ونشر عنه بحث في مجلة الآثار التوراتية، وبثت عنه قناة ديسكفري (قناة متخصصة في عرض البرامج والأفلام التاريخية والاكتشافات الأثرية) فيلمًا تسجيليًا، وفي سنة ٢٠٠٢م عرض التابوت المزيف لمدة شهر في المتحف الملكي بأونتاريو في كندا.

وبدأت الشكوك تحوم حول التابوت والنقش المدون عليه وانقسمت آراء خبراء الكتابات القديمة، وعلماء الآثار حول ما إذا كان أصليًا أو مزيفًا، وأجريت عليه فحوص فيزيائية وكيمائية تركزت على الطبقة الدقيقة التي تغطى الحجر الذي صنع منه التابوت وأثبتت الفحوص أن الطبقة التي تغطي التابوت تم تحضيرها حديثًا بمعالجة كيمائية دقيقة، كما توصل خبراء الكتابات القديمة إلى أن الحروف الآرامية المدونة على التابوت قد استنسخت من نقوش آرامية نشرها أندريه لومبير من قبل، وفي الثامن عشر من يونيو سنة ٢٠٠٣م أعلنت إدارة الآثار في الكيان الصهيوني أن التابوت مزيف.

سادسًا: كان علماء الآثار في الكيان الصهيوني يفخرون بقطعة أثرية عرفت لديهم باسم (رأس عصا)، وكانت محفوظة في متحف الكيان الصهيوني الذي اشتراها من أحد تجار الآثار الصهاينة في أواسط الثمانينيات من القرن العشرين الميلادي، وقد أرجع الآثاريون الصهاينة تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد، وفي ديسمبر ٢٠٠٤م أصدرت إدارة الآثار في الكيان الصهيوني تقريرًا اعترفت بموجبه أن القطعة مزيفة، وأقامت دعوى ضد التاجر الذي اشترت منه القطعة، ولكن بعد عشرين عامًا استخدمت خلالها كأحد الأدلة الأثرية على الهيكل المزعوم.

سابعًا: استغل الصهاينة احتلالهم لسيناء فيما بين سنتي ١٩٦٧ ــ ١٩٨٢م وحالوا العبث بآثار الطريق التجاري الذي كانت تسلكه قوافل الأنباط القادمة إلى مصر من الجزيرة

العربية للادعاء بأنه طريق خروجهم من مصر، فعمدوا إلى تدمير الكتابات الآرامية، والنبطية، والقبطية، واللاتينية، واليونانية المنتشرة عبر الطريق، وسجلوا بدلاً منها بعض الكتابات بالخط العبري، وكان الطريق قد استخدم بعد انتشار المسيحية في مصر من قبل الحجاج المتجهين إلى زيارة الأماكن المقدسة في فلسطين، وقد رصد هذه التعديات الباحث عبدالرحيم ريحان في بحث قدمه أمام المؤتمر السابع لاتحاد الآثاريين العرب الذي عقد بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م.

وختامًا إننا عائدون إلى فلسطين ليس بالتمني ولكن بالتصدي للتحالف الصليبي الصهيوني وإن طال أمد الصراع فقد حرر صلاح الدين الأيوبي القدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وطرد الأشرف خليل آخر فلول الصليبيين من عكا سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م.

وصدق الله القائل في كتابه الكريم: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) (سورة آل عمران، الآيتين ١٧٣- ١٧٤).

المراجع

الأحمد، أحمد عيسى:

محاولة لاستعادة تاريخ فلسطين الحقيقي. ص ص ٣٠ - ٣٥ (فلسطين روح العرب الممزق، كتاب العربي ٥٦، سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي، الطبعة الأولى، الكويت ١٥ أبريل ٢٠٠٤م)

الأحمد، سامي سعيد:

نقد العهد القديم. ص ص ٢١٥ - ٢٣٨ (المؤرخ العربي، العدد الثاني والعشرين، بغداد ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)

تاريخ فلسطين حتى التحرير العربي. (سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٨٨م)

دراسة في معلومات العهد القديم التاريخية عن فلسطين. ص ص ٦٣ - ٧٧ (المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الأول، بغداد ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)

أندرييف، يوري:

الصهيونية بين التخرصات والوقائع. (ترجمة فائزة العلوش، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق ١٩٩٠م)

أولبرايت، وليم:

آثار فلسطين. (ترجمة زكي اسكندر، ومحمد عبدالقادر محمد؛ ومراجعة سعاد ماهر محمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الكتاب الحادي عشر ١٣٩١هـ/١٩٧١م)

تاكسل، ليو:

التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير. (ترجمة حسان ميخائيل أسعد، الطبعة الأولى، الجندي للطباعة والنشر ١٩٩٤م)

جارودي، روجيه:

فلسطين أرض الرسالات. (دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٨م)

حجازي، عرفات:

مدينة الخليل والتحدي الصهيوني. (دار الصباح، عمان ١٩٨٥م)

حمادة، حسين عمر:

آثار فلسطين. (دار قتيبة، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)

خاطر، حسن علي مصطفى:

موسوعة القدس والمسجد الأقصى المبارك. (المجلس العلمي الفلسطيني، الطبعة الأولى، القدس ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)

أبوخلف، مروان:

من معالم الحضارة الإسلامية في فلسطين. (المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)

خان، ظفر الإسلام:

تاريخ فلسطين القديم. (دار النفائس، الطبعة الثانية، بيروت ١٣٩٧٩هـ/ ١٩٧٩م)

دادياني، ليونيل:

الصهيونية على لسان قادتها. (دار الثقافة الجديدة، القاهرة، بدون تاريخ)

راشد، سيد فرج:

القدس عربية إسلامية. (دار المريخ للنشر، الرياض ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)

الكتب اليهودية بين الوحي والتحريف. ص ص١٧١ – ١٨٧(العصور، المجلد الثاني، الجزء الثاني، ذو القعدة ١٤٠٧هـ/يوليو ١٩٨٧م)

ريان، جوزف:

الصهيونية واليهود واليهودية. ص ص ٤٣ –٤٩ (أبحاث مؤتمر طرابلس حول الصهيونية والعنصرية يوليو ١٩٧٦م، ترجمة عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩م)

سميث، جاري:

الصهيونية السياسية: انتقادات يهودية. ص ص ٢١٥ - ٢٢٥(أبحاث مؤتمر طرابلس حول الصهيونية والعنصرية يوليو ١٩٧٦م، ترجمة عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩م)

سلبرمن، نيل:

بحثًا عن إله ووطن صراع الغرب على فلسطين وآثارها (١٧٩٩ – ١٩١٧م). (ترجمة فاضل جتكر، مراجعة زياد منى، الطبعة الأولى، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠١م)

السواح، فراس:

آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي. (الطبعة الخامسة، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق٢٠٠٢م)

تاريخ أورشليم. (الطبعة الأولى، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق ٢٠٠١م)

سوسة، أحمد نسيم:

العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية. (العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق ١٩٧٣م)

شاحاك، إسرائيل:

الديانة اليهودية وتاريخ اليهود. (ترجمة رضى سلمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ١٩٩٧م)

شريف، حسن:

فلسطين من فجر التاريخ حتى القرن الأول الميلادي (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م)

صالحية، محمد عيسى:

فتويان بشأن القدس وقبر النبي داود عليه السلام لكمال الدين محمد بن أبي شريف المقدسي. ت ٩٠٦هـ/١٥٠٠م. (عمان ٢٠٠٠م)

الصليبي، كمال:

البحث عن يسوع "قراءة جديدة في الأناجيل". (الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٩م)

أبو طالب، محمود:

آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة. (وزارة الثقافة والشباب، الطبعة الأولى، عمان ١٩٧٨م)

طعيمة، صابر عبدالرحمن:

اليهود بين الدين والتاريخ دراسة للجوانب العقائدية والتاريخية عند بني إسرائيل. (مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧٢م)

طومسون، توماس:

الماضي الخرافي التوراة والتاريخ. (ترجمة عدنان حسن، مراجعة زياد منى، الطبعة الأولى، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠١م)

ظاظا، حسن:

القدس مدينة الله؟ أم مدينة داود. (مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٧٠م)

المجتمع العربي القديم من خلال اللغة. ص ص ١٧٧- ١٨٦ (الأبحاث المقدمة للندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية جمادى الأولى ١٣٩٩هـ/أبريل ١٩٧٩م، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤م/١٩٨٤م)

الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه. (دار القلم بدمشق، ودار العلوم ببيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م)

الصهيونية واستثمار الخرافات. ص ص ٥ - ٨ (الفيصل، العدد ٢٠١، ربيع الأول ١٤١٤هـ/أغسطس – سبتمبر ١٩٩٣)

الصهيونية والمسيح المنتظر. ص ص ١٩ – ٢٣ (الفيصل، العدد ٢٢٧، جمادى الأولى ١٤١٦هـ/سبتمبر – أكتوبر ١٩٩٥)

ظاظا، حسن وآخرون:

الصهيونية العالمية وإسرائيل. (الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية، القاهرة ١٩٧١م)

عبدالعال، صفا محمود:

التعليم العلمي والتكنولوجي في إسرائيل. (آفاق تربوية متجددة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٢م)

عبدالعليم، مصطفى؛ وسيد فرج راشد:

اليهود في العالم القديم. (دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)

علي، فؤاد حسنين:

اليهودية واليهودية المسيحية. (معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦٨م)

العوري، هالة:

أهل الكهف. قراءة في مخطوطات البحر الميت. (الطبعة الأولى، دار رياض الريس للكتب والنشر، إبريل ٢٠٠٠م)

المسيري، عبدالوهاب محمد:

علامات مميزة للاستعمار الاستيطاني الصهيوني. ص ص ١٥١ – ١٥٧ (أبحاث مؤتمر طرابلس حول الصهيونية والعنصرية يوليو ١٩٧٦م، ترجمة عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩م)

نهاية التاريخ دراسة في بنية الفكر الصهيوني. (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩م)

المسيري، عبدالوهاب محمد وآخرون:

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية "نموذج تفسيري جديد". (المجلدين الرابع والسادس، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٩م)

منى، زياد:

مقدمة في تاريخ فلسطين القديم. (الطبعة الأولى، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت ٢٠٠٠م)

تلفيق صورة الآخر في التلمود "يسوع المسيح والعرب والمسيحيين والأميين". (الطبعة الأولى، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٢م)

مهران، محمد بيومي:

تاريخ العرب القديم. (الجزء الأول، الطبعة الحادية عشرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)

مهنا، إبراهيم سليمان:

مقدسات تحت الاحتلال. (الطبعة الأولى، عمان ١٤٢٢هـ٢٠٠٢م)

نجم، رائف يوسف:

القدس الشريف. (وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية، الطبعة الثانية، عمان ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)

نويبرجر، جي:

الفرق بين اليهودية والصهيونية. ص ص ١٩١ – ١٩٩ (أبحاث مؤتمر طرابلس حول الصهيونية والعنصرية يوليو ١٩٧٦م، ترجمة عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩م)

هداوي، سامي؛ و والتر لهن:

الصهيونية وأراضي إسرائيل. ص ص ٦٥ – ٨٢ (أبحاث مؤتمر طرابلس حول الصهيونية والعنصرية يوليو ١٩٧٦م، ترجمة عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩م)

هيرمان، كلاوز:

أضواء تاريخية على الصهيونية السياسية واللاسامية. ص ص ٢٠١ – ٢١٣(أبحاث مؤتمر طرابلس حول الصهيونية والعنصرية يوليو ١٩٧٦م، ترجمة عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩م)

وايتلام، كيث:

اختلاق إسرائيل القديمة - إسكات التاريخ الفلسطيني. (ترجمة سحر الهنيدي، مراجعة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة،٢٤٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت جمادى الأولى ١٤٢٠هـ/سبتمبر ١٩٩٩م)

يوسف، فرج الله أحمد:

آثار فلسطين والعراق تحت الاحتلال. ص ص ٣٢ – ٤٩ (الفيصل، العدد ٣٣٧، رجب ١٤٢٥هـ/ أغسطس – سبتمبر ٢٠٠٤م